سلسلة بحوث التفسير الموضوعي الميسر

وقفات تربوية

من خلال آيات الحج

في كتاب الله

إعداد

أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي

الأستاذ بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الميمنة

وقفات تربوية
من خلال آيات الحج
في كتاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة بحوث التفسير الموضوعي الميسر

وقفات تربوية
من خلال آيات الحج
في كتاب الله

أ.د.محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

الأستاذ بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

aboayob@hotmail.com

المدينة المنورة ص.ب (٧١١٩) الرمز (٤١٤٦٢) فاكس ٠٤٨٢٦١٩٥٤

نأمل من الإخوة الاستفادة منها وإبداء المرئيات والمقترحات حولها

مع خالص الشكر والتقدير

نسأل الله أن لا يحرمهم الأجر والثواب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات ربي وسلامه عليه. **وبعد:**

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام].

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

القرآن الكريم كتاب بيان ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] ففيه بيان فرائض هذه الأمة وتكاليفها، ونظم حياتها، وأحكام شريعتها فيما بينها وبين الله، وفيما بينها، وكذلك فيما بينها وبين غيرها من الأمم والنحل.

وعندما يعرض القرآن قضية من قضايا الشريعة لا يعرضها مجردة عن غيرها من قضايا الشريعة الأخرى، فالإسلام شامل لكل مناحي الحياة، ولذلك تَرَى أن الله تعالى عندما يأمر بأمر أو ينهى عن نهي، يصاحبه من التوجيهات والإشارات القرآنية ما يساعد في بناء صرح الإسلام ككل، لا على أن هذا التوجيه أمر مستقل بذاته عن أمور الشريعة الأخرى.

وفي شعيرة الحج وقفات ومنافع إصلاحية للنفس والمجتمع والأمة بل والعالم كله، ولذا يجب على المربين والعلماء أن يبينوا تلك الوقفات حتى تستفيد الأمة كلها حجاجها وغير حجاجها، فأسرار هذا المنسك تشمل الحجاج وغيرهم، ولذا كان ركناً من أركان الإسلام.

فالحج لا تنفصل فيه الشعائر التعبدية، عن المشاعر القلبية، ولا عن التشريعات التنظيمية، ولا يستقيم ولا يكمل إلا بأن يشمل أمور الدنيا وأمور الآخرة، وشؤون القلب وشؤون العلاقات الاجتماعية.

والحج فريضة فيها منافع كثيرة على الفرد والمجتمع والأمة، سواء كانت تلك المنافع تربوية أو عقدية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.. والكل مرتبط بغاية الغايات وهي عبادة الله سبحانه وتعالى ولذلك قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج].

فجاء هذا البحث بياناً **للحج في القرآن الكريم بنظرة تربوية شاملة** على أنه ركن من أركان بناء المسلم بل بناء الأمة المسلمة؛ من خلال الآيات التي وردت في شعائر الحج، مع مراعاة التوجيهات التي حول هذه الآيات لكي نخرج بنظرة شاملة لموضوع الحج في القرآن.

أسباب اختيار الموضوع:

١ ـ محاولة لربط المسلم بكتاب الله تعالى في جميع شؤون الحياة.

٢ ـ الانفصام الشديد من بعض الحجاج بين ما يمارسونه من أعمال في الحج وبين سلوكهم مع الله ومع الناس.

٣ ـ غياب روح الحج التربوية عند كثير من الناس اليوم، بخلاف السلف الصالح.

٤ ـ إبراز معاني الحج الشرعية وغرسها في قلوب المسلمين.

٥ ـ محاولة للتركيز على النواحي العملية المستفادة من الحج وتطبيقها أثناء الحج وبعده.

منهجية البحث:

- اعتمدت على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط الفوائد التربوية.
- اعتمدت على كتب التفسير بالمأثور المتخصصة في البحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.
- التزمت إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم أستشهد بحديث اتفق على ضعفه.
- إذا كان الحديث عند البخاري أو مسلم أكتفي بتخريج الحديث منهما، أما من غيرهما فاعتمدت في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- عزوت الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- عدم الخوض في ذكر الخلاف في المسائل الفقهية، لعدم الخروج عن موضوعية البحث.
- اجتهدت قدر استطاعتي أن لا أذكر فائدة تربوية إلا وأدلل عليها من القرآن، أو السنة، أو من أقوال أئمة السلف.

- استفدت من بعض الكتابات المعاصرة في الموضوع.
- حرصت على سلوك منهجية التفسير الموضوعي للآيات مراعاة للموضوع.

خطة البحث:

وتشتمل مقدمة وتمهيداً وستى فصول:

تمهيد: مقدمات عن الحج:

المقدمة الأولى: ذكر آيات الحج وشرائعه وشعائره في القرآن.

المقدمة الثانية: عرض مناسك الحج من خلال حجة النبي ﷺ.

الفصل الأول: التربية العقدية من خلال آيات الحج:

المبحث الأول: غرس الإيمان بالله من خلال آيات الحج:

المطلب الأول: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله في آيات الحج.

المطلب الثاني: أعمال الحج ودورها في التربية على التوحيد.

المطلب الثالث: البراءة من المخالفين للتوحيد وأعمالهم ومخالفتها.

المبحث الثاني: التربية على الإيمان بعقيدة الموت والبعث والقيامة:

المطلب الأول: التذكير بالموت الذي هو بداية الآخرة لكل إنسان.

المطلب الثاني: التذكير بالبعث من القبور والحشر إلى الله عند الحديث عن الحج.

المطلب الثالث: التذكير بيوم الحشر في أعمال الحج.

المطلب الرابع: التذكير باليوم الآخر والجنة والنار.

الفصل الثاني: تعظيم شعائر الله في الحج كمال عرضها القرآن:

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى لمكة والبيت الحرام.

المبحث الثاني: دعاء إبراهيم عليه السلام لتعظيم هذا المشاعر.

المبحث الثالث: تعظيم الحجاج والمعتمرين وغيرهم شعائر الله:

المطلب الأول: تعظيم شعائر الله بتحريم الصيد أثناء الإحرام.

المطلب الثاني: تعظيم شعائر الله بترك القتال في الأشهر الحرم.

المطلب الثالث: تعظيم الهدي الذي يهدى إلى بيت الله.

المطلب الرابع: من تعظيم شعائر الله تعالى أن تُؤدى حقوق هذه الشعائر.

المطلب الخامس: أن يعلم المحرم والداخل لمكة أنه في أمان الله فلا يتعرض لسخطه.

المطلب السادس: تعظيم شعائر الله تعالى بإقامة العبادات فيها على الوجه المشروع.

الفصل الثالث: التربية الإيمانية في الحج:

المبحث الأول: التربية على تقوى الله تعالى:

المطلب الأول: التزام التقوى في نية وأعمال الحج.

المطلب الثاني: التقوى في السفر للحج وأنها خير زاد.

المطلب الثالث: تقوى الله تعالى تزيد الأعمال الصالحة في الحج وتحفظها.

المطلب الرابع: تقوى الله تعالى ثمرة لتوحيده سبحانه في الذبح.

المطلب الخامس: التزام التقوى في كل أوامر الحج والحذر من عقاب الله.

المطلب السادس: تقوى الله تعالى في تعظيم شعائر الله.

المطلب السابع: ثمرات التزام تقوى الله.

المبحث الثاني: التربية على ذكر الله.

المبحث الثالث: التربية على الدعاء:

المطلب الأول: أفضل الدعاء في الحج.

المطلب الثاني: رحلة الحج والأدعية فيها.

المبحث الرابع: التربية على التوبة والاستغفار.

المبحث الخامس: التربية على التوكل على الله.

المبحث السادس: التربية على التقرب إلى الله بالطواف والاعتكاف والصلاة.

المطلب الأول: عبادة الطواف.

المطلب الثاني: عبادة الاعتكاف.

المطلب الثالث: عبادة الصلاة.

المبحث السابع: التربية على شكر الله تعالى:

المطلب الأول: التربية على شكر الله بعرض شكر الله للعبد.

المطلب الثاني: التربية على شكر الله بالإشارة إليها ضمن أعمال الحج.

المطلب الثالث: التربية على الشكر ببيان أن الله تعالى غني عن الشكر.

المبحث الثامن: التربية على طلب الهداية من الله.

الفصل الرابع: التربية المنهجية في السير إلى الله من خلال الحج:

المبحث الأول: التربية على أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

المبحث الثاني: غرس منهج الاستسلام الكامل لله:

المطلب الأول: غرس الاستسلام لله من خلال الأمر بالحج ومناسكه.

المطلب الثاني: نماذج نبوية في الاستسلام لله تعالى نتعلمها من الحج.

المطلب الثالث: تصوير بعض نماذج التربية على الاستسلام لله تعالى في الحج.

المبحث الثالث: التربية على منهجية الوسطية وعدم الغلو في الدين.

المبحث الرابع: التربية على منهج التيسير على الأمة:

المطلب الأول: تأصيل مبدأ التيسير في الإسلام.

المطلب الثاني: صور من التيسير في الحج وأعماله.

الفصل الخامس: التربية الأخلاقية في الحج:

المبحث الأول: تربية المسلمين على تنمية الأخلاق الذاتية:

المطلب الأول: التربية على خلق العفاف.

المطلب الثاني: التربية على خلق الرفق والسكينة.

المطلب الثالث: التربية على خلق التواضع.

المطلب الرابع: التربية على خلق الصبر.

المطلب الخامس: التربية على خلق البذل والسخاء.

المطلب السادس: التربية على خلق الزهد والقناعة.

المطلب السابع: التربية على خلق الوفاء.

المبحث الثاني: التربية على القيم الإسلامية:

المطلب الأول: التربية على قيمة الوقت.

المطلب الثاني: التربية على قيمة النظام والانضباط.

المطلب الثالث: التربية على قيمة الإتقان.

المطلب الرابع: التربية على قيمة النظافة.

المبحث الثالث: النهي عن الأخلاق السيئة في الحج:

المطلب الأول: النهي عن الفسوق.

المطلب الثاني: النهي عن الجدال.

المطلب الثالث: التحذير من شهادة الزور.

الفصل السادس: التربية على الأخوة والوحدة الإسلامية في الحج:

المبحث الأول: الحج وتعميق الأخوة:

المطلب الأول: تنمية التعارف بين المسلمين.

المطلب الثاني: تنمية التآلف بين المسلمين.

المطلب الثالث: تنمية التكافل بين المسلمين.

المطلب الرابع: تنمية روح التناصر بين المسلمين.

المبحث الثاني: تعميق مبدأ الوحدة بين المسلمين:

المطلب الأول: تعميق وحدة الجنس والنسب.

المطلب الثاني: التربية على وحدة الصف.

المطلب الثالث: التربية على وحدة الكلمة.

المطلب الرابع: التربية على وحدة اللغة.

المطلب الخامس: تعميق الانتماء والوحدة التاريخية.

الخاتمة: فيها أهم التوصيات والنتائج من خلال البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا

وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأٍ وزلل، وأن يبارك فيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

كتبه
أ.د.محمد بن عبدالعزيز العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

تمهيد
مقدمات عن الحج

المقدمة الأولى

ذكر آيات الحج وشرائعه وشعائره في القرآن

بلغت الآيات التي فيها التصريح بالحج وشعائره (٧٠) آية، وهي في سبعة عشر سورة منها سبع سورٍ مدنية وهي الأكثر في بيان الحج وشعائره (٤٨) آية، وعشر سور مكية وغالباً له هي ذكر مشاعر الحج (٢٢) آية، لا شعائره وأحكامه. وليك بيانها:

أولاً: آيات سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ

ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

ثالثاً: سورة المائدة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة].

رابعاً: سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام].

خامساً: سورة الأنفال:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال].

سادساً: سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة].

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة].

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة].

سابعاً: سورة إبراهيم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ

أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

ثامناً: سورة الإسراء:

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

تاسعاً: سورة الحج:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ

وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج].

عاشراً: سورة القصص:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

الحادي عشر: سورة العنكبوت:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت].

الثاني عشر: سورة الشورى:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى].

الثالث عشر: سورة الفتح:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح].

الرابع عشر: سورة البلد:

قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ [البلد].

الخامس عشر: سورة التين:

قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين].

السادس عشر: سورة قريش:

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش].

السابع عشر: سورة الفيل:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المقدمة الثانية

عرض مناسك الحج من خلال حجة النبي ﷺ

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، فسأل عن القوم حتى انتهى إليّ؛ فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين. فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب فقال: مرحباً بك يا ابن أخي سل عما شئت. فسألته وهو أعمى وحضر وقت الصلاة فقام في نساجة[1] ملتحفاً بها كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المشجب[2] فصلى بنا. فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ. فقال بيده فعقد تسعاً فقال:

إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة[3] فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، فأرسلت إلى

---

(١) النساجة: ضَرْب من الملاحِف مَنْسُوجة، انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/١١٠.

(٢) المشجب: عِيدانٌ تُضَمُّ رُؤُوسها ويُفَرَّج بين قَوائِمها وتُوضع عليها الثِّيابُ وقد تُعَلَّق عليها الأَسْقية لتَبْرِيدِ الماء وهو من تَشاجَبَ الأمرُ: إذا اخْتَلَط. انظر: لسان العرب ١/٤٨٣.

(٣) ذو الحليفة: موضع بقرب المدينة المنورة بينه وبينها ستة أميال. وهو ميقات أهل المدينة. القاموس الفقهي، ص٤٣، وهو اليوم أبيار علي متصل بالمدينة.

رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «**اغتسلي واستثفري**[1] **بثوب وأحرمي**».

فصلى رسول الله ﷺ في المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء[2] نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهلَّ بالتوحيد: «**لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**». وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزم ﷺ تلبيته. قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة.

حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فجعل المقام بينه وبين البيت فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون]، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ . . .﴾ [البقرة: ١٥٨]، «**أبدأ بما بدأ الله به**». فبدأ بالصفا فرقى عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**».

ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى حتى أتى

---

(١) واستثفري أي: شدي فرجك بخرقة عريضة توثقين طرفيها في شيء تشدين ذلك على وسطك لمنع الدم مأخوذ من اللجام والثفر للدابة. انظر: طلبة الطلبة في المصطلحات الفقهية، ص٢٣.

(٢) والبيداء: هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة في طريق مكة. انظر: معجم ما استعجم ٢٩١/١.

المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «**لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة**».

فقام سراقة بن مالك بن جعشم ﷺ فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى وقال: «**دخلت العمرة في الحج مرتين، لا بل لأبد أبد**».

وقدم عَلِيٌّ ﷺ من اليمن بِبُدْنِ النبي ﷺ فوجد فاطمة ﷺ ممن حَلَّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها! فقالت: إن أبي أمرني بهذا. قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشاً[1] على فاطمة للذي صنعت، مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها. فقال: «**صدقت، صدقت. ماذا قلت حين فرضت الحج؟**». قال: قلت: اللَّهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك. قال: «**فإن معي الهدي فلا تحل**». قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة. قال: فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي.

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية. فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس، وقال: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا؛ في شهركم هذا؛ في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن**

---

(١) التحريش هاهنا ذكرُ ما يُوجِب عتابَه لها. انظر: لسان العرب ٦/٢٧٩.

أول دم أضع من دمائنا؛ دم ابن ربيعة بن الحارث ـ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ـ وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله. وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللَّهم اشهد اللَّهم اشهد**». ثلاث مرات.

ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر. ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، حتى غاب القرص. وأردف أسامة رضي الله عنه خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: «**أيها الناس السكينة السكينة**». كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد.

حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء، بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً. ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر. وصلى الفجر حين تَبَيَّنَ له الصبح، بأذان وإقامة. ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة. فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس. وأردف الفضل بن عباس رضي الله عنهما، وكان رجلاً حسن الشعر، أبيض وسيماً. فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن[1] يجرين،

---

(١) الظُّعُن: النِّساء واحِدَتَها: ظَعِينة. وأصلُ الظَّعِينة: الرَّاحلَةُ التي يُرْحَل ويُظْعَن عليها: أي يُسار. وقيل للمرأة: ظَعينة لأنها تَظْعَن مع الزَّوج حَيثُما ظَعَن أو لأنَّها تُحْمَل على الرَّاحِلَة إذا ظَعَنت. وقيل الظَّعِينَة: المرأةُ في الهودج ثم قيل للهَودَج بلا امْرَأة وللمَرأة بلا هَودَج: ظَعِينَة. وجمع الظَّعِينَة: ظُعْن وظُعُن وظَعائن وأظْعَان. وظَعَن يَظْعَن ظَعْناً وظَعَنا بالتحريك إذا سارَ. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٣٥٠.

فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل. يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر.

حتى أتى بطن محسر، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها ـ مثل حصى الخذف ـ رمى من بطن الوادي. ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده. ثم أعطى علياً رضي الله عنه فنحر ما غبر[1]، وأشركه في هديه. ثم أمر من كل بُدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال: «**انزعوا بني عبدالمطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**». فناولوه دلواً فشرب منه[2].

(١) ما غبر: أي ما بقي. انظر: شرح النووي على مسلم ٣١٢/٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

الفصل الأول
التربية العقدية من خلال آيات الحج

تمهيد:

الحج ميدان فسيح من ميادين غرس العقيدة في القلوب والمتأمل لآيات الحج يجد: ركنين مهمين من أركان الإيمان فيها، وهما الإيمان بالله المتمثل في التوحيد، والإيمان باليوم الآخر.

وهما من أدل الأركان على سلامة العقيدة وزيادة الإيمان، فلن تسلم العقيدة ويزيد الإيمان إلا بإخلاص العبادة للمعبود الحق سبحانه وتعالى ونفي غيره من الآلهة، ولن يحصل ذلك إلا إذا آمن الناس بأن هناك بعث وجزاء بعد الموت فبذلك يحسنوا التوجه لله تعالى بالعبادة الخالصة رغبة في جزاءه ورهبة من عقابه.

ولذا نجد أن الله تعالى يقرن بينهما في كتابه وذلك في تسعة عشر موضعاً في كتابه في ثمان سور، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النساء: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ

كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ [النور: ٢].

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق].

ونجد هذا الاقتران في حديث رسول الله ﷺ، ومن ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[(١)]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

وجاء الحج ليربي الناس على هذين الركنين المهمين لتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وسنتعرف من خلال هذا الفصل على كيفية تربية الأمة على هذين الركنين من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: غرس الإيمان بالله من خلال آيات الحج:

المطلب الأول: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله في آيات الحج.

المطلب الثاني: أعمال الحج ودورها في التربية على التوحيد.

المطلب الثالث: البراءة من المخالفين للتوحيد وأعمالهم ومخالفتها.

المبحث الثاني: التربية على الإيمان بعقيدة الموت والبعث والقيامة:

المطلب الأول: التذكير بالموت الذي هو بداية الآخرة لكل إنسان.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨)، ومسلم كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف (٤٧).

المطلب الثاني: التذكير بالبعث من القبور والحشر إلى الله عند الحديث عن الحج.

المطلب الثالث: التذكير بيوم الحشر في أعمال الحج.

المطلب الرابع: التذكير باليوم الآخر والجنة والنار.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الأول
غرس الإيمان بالله من خلال آيات الحج

المطلب الأول
الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله في آيات الحج

من خلال النظر إلى الآيات التي ذكرت الحج، أو التي تؤدى فيها فريضة الحج نجد: أن الله تعالى ركز على تبيان التوحيد وأمر به في مواقف كثيرة وفي آيات عدة، فإن الله تعالى هيأ هذه البقعة المباركة وطهرها من الشرك، إعلاناً بأن التوحيد هو شعار الحج، وشعار الأماكن التي يؤدى فيها الحج.

ويمكن إيضاح هذا المعنى في النقاط التالية:

أولاً: أمر الله تعالى إبراهيم ببناء الكعبة على التوحيد وتطهيرها من الشرك:

قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. و﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

قال ابن كثير: «إن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أن

يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به والعاكفين عنده، والمصلين إليه من الركع السجود»[(١)].

وقال في موضع آخر: «هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسسّتْ من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بَوأ إبراهيم مكانَ البيت، أي: أرشده إليه، وسلمه له، وأذن له في بنائه»[(٢)].

قال السعدي: «أي أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر»[(٣)]، وقال الواحدي: «أمرناهما وأوصينا إليهما ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان والريب»[(٤)].

قال الرازي: «قيل: أي: ابنياه وطهراه من الشرك وأسساه على التقوى، وقيل: ابنياه ولا تدعا أحداً من أهل الريب والشرك يزاحم الطائفين فيه، وقيل: معناه نظفا بيتي من الأوثان والشرك والمعاصي، ليقتدي الناس بكما في ذلك»[(٥)].

ثانياً: أمر الله تعالى ضمن آيات الحج باجتناب الشرك:

١ ـ أمر الله تعالى الصريح ضمن آيات الحج باجتناب الأوثان والالتزام بالحنيفية:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٢٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٤١٣.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٥.
(٤) الوجيز ١/١٣٠.
(٥) تفسير الرازي ٤/٤٧، باختصار وتصرف.

قال الواحدي: «﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ يعني: عبادتها، ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ يعني: الشرك بالله»[1]. قال ابن كثير: «﴿مِّن﴾ هاهنا لبيان الجنس، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان»[2].

ثم قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾. قال السعدي: «أمرهم أن يكونوا ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾، أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ فمثله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: سقط منها، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة.

ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه»[3].

٢ ـ الأمر الصريح من الله تعالى بالتوحيد وأنه ملة كل الأمم السابقة:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج].

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه لم يَزَل ذبحُ المناسك وإراقةُ الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل.

وقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ أي: معبودكم واحد، وإن

---

(١) الوجيز ١/٧٣٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٤١٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٧.

تَنوّعَت شرائع الأنبياء ونَسخَ بعضها بعضاً، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

ولهذا قال: ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۚ﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحُكْمه وطاعته»[(١)].

٣ ـ أمر الله تعالى نبيه بإخلاص العبادة له ومنها النسك:

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير: «يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له»[(٢)]. وقال الواحدي: «عبادتي من حجي وقرباني»[(٣)].

وقال الشيخ الأمين: «قال بعض العلماء: المراد بالنسك هنا النحر، لأن الكفار كانوا يتقربون لأصنامهم بعبادة من أعظم العبادات: هي النحر، فأمر الله تعالى نبيه أن يقول إن صلاته ونحره كلاهما خالص لله تعالى، وقال بعض العلماء: النسك جميع العبادات، ويدخل فيه النحر»[(٤)].

٤ ـ بين الله تعالى أنه بعث نبيه لتطهير أم القرى ومن حولها من الشرك:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورى].
قال الجزائري: «أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرى ـ مكة ـ ومن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٢٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٨١.
(٣) الوجيز ١/٣٨٤.
(٤) أضواء البيان ١/٥٤٩.

حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إن بقوا على الشرك»[1].

٥ ـ بين الله تعالى أن المشرك لا يعظم حرمات الله وشعائره:

قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح].

فشرك المشركين وإصرارهم عليه جعلهم لا يعظمون شعائر الله تعالى وحدوده، وهذا ذم من الله لهم على ذلك.

٦ ـ جعل الله البيت أحد أدلة التوحيد والإخلاص:

قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة].

«يخبر تعالى أنه جعل ﴿ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ يقوم بالقيام بتعظيمه دينُهم ودنياهم، فبذلك يتم إسلامهم، وبه تحط أوزارهم، وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة، والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتقتحم من أجله الأهوال.

وكذلك جعل الهدي والقلائد ـ التي هي أشرف أنواع الهدي ـ قياماً للناس، ينتفعون بهما ويثابون عليهما. ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فمن علمه أن جعل لكم هذا البيت الحرام، لما يعلمه من مصالحكم الدينية والدنيوية»[2].

وإذا عرف الناس علم الله تعالى وأنه سبحانه القائم بربوبيته لهم ترتب على ذلك إلزامهم بالتوحيد الخالص لله تعالى وعبادته وحده لا شريك له.

---

(١) أيسر التفاسير ٤/٥٩٤.
(٢) أيسر التفاسير ٤/٥٩٤.

يقول سيد: «لقد امتن الله به على المشركين؛ إذ كان بيت الله بينهم مثابة لهم وأمناً، والناس من حولهم يُتخطفون، وهم فيه وبه آمنون، ثم هم بعد ذلك لا يشكرون الله؛ ولا يفردونه بالعبادة في بيت التوحيد؛ ويقولون للرسول ﷺ إذ يدعوهم إلى التوحيد: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص]»[1].

٧ ـ أبطل الله تعالى الأعمال الصالحة العظيمة المقترنة بالشرك:

قال تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [التوبة].

قال السعدي: «لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد ﴿وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالاً صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: ﴿لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي:

---

(١) في ظلال القرآن ٢/٤٣٨.

الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر»[1].

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
أعمال الحج ودورها في التربية على التوحيد

شعيرة الحج التي جعلها الله سبحانه وتعالى قاعدة من قواعد التوحيد، تدل على وجوب تحقيق ما تضمنته كلمة لا إله إلاّ الله، من بدايتها إلى نهايتها، ومن مشعر إلى مشعر، ومن منسك إلى منسك.

وإليك بعض الوقفات في غرس التوحيد في الحج:

أولاً: الأهلة ودورها في تثبيت توحيد الربوبية:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فالإنسان وهو يترقب الهلال ليعلم زمان الحج ويتفكر فيه يجد ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. فيوقن بربه ويعلم أن لهذا الكون إلٰهٌ مدبرٌ أتقن كل شيء، خلق هذا الكون الفسيح، وخلق الخلق كلهم، ولم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم منهجاً قويماً، عن طريق رسل عظماء، فهذا المنهج هو الذي يجعل الإنسان عارفاً بربه ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة].

نعم يتعرف الإنسان على ربه من خلال مخلوقاته؛ وما أبدع فيها، فيا لها من نعمة على الإنسان أن يرزقه الله تعالى حسن التدبر والتفكر في مخلوقات الله، حتى يعلم بفطرته التوحيد الخالص.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٣٣١.

ثانياً: التوحيد في نية الحج:

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. قال السعدي: «وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ عند إهلاله بالحج: «**اللَّهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»[(٢)]، «أي: أسألك حجة مبرورة تكون خالصة لوجهك الكريم، مقاربة إلى حضرة مجدك العظيم. وفيه إبانة لعظيم فضل الحج، ورفيع شرفه، وذم للرياء، وتقبيح للسمعة. وإنما هي في غاية الشناعة، كيف وهما محبطان للعمل»[(٣)].

ثالثاً: السير في الأرض للحج ودوره غرس التوحيد:

عندما يترك الحاج بيته وأهله وبلده ويمضي إلى بلد الله الحرام، إما في الطائرة، أو في البر، أو في البحر، فينظر بديع صنع الله تعالى الذي سخر ذلك الجو، ومهد ذلك الطريق، وأجرى تلك السفن والطائرات قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج]، ومن اللطائف أن هذه الآية في سورة الحج تنبيه من الله لنا على هذا الأمر المهم.

فينظر العبد بعين الاعتبار؛ ليرى براهين التوحيد الثابتة التي غيبها الإلف لها، ولتكون تلك المحطة مزيلة ذلك الغبار عن عين الفطرة، فيرى عظمة الإله الحق الذي يسبح له كل شيء في هذا الكون. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٠.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الحج على الرحل (٢٨٩٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود.

(٣) فيض القدير ٢/١٤٤.

ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ [الحج].

ومن اللطائف كذلك أن تلك الآية من سورة الحج فهو تدريب عملي على غرس التوحيد في القلوب وغرس عظمة الله في النفوس.

وعندما يصل الإنسان إلى الميقات يجد لسانه ينطق بالتوحيد عظمة وإجلالاً لما رآه بعين بصره وبصيرته.

رابعاً: التلبية والتربية على التوحيد:

التلبية هي شعار الحج [لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك].

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في صفة حج النبي ﷺ: «ثم أَهَلَّ بالتوحيد لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد اشتملت كلمات التلبية على قواعد عظيمة وفوائد جليلة، ومنها:

١ ـ أن قولك: لبيك يتضمن إجابة داع دعاك، ومناد ناداك، ولا يصح في لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدعو من أجابه فأثبتت صفة الكلام.

٢ ـ تتضمن المحبة، فلا يقال لبيك؛ إلا لمن تحبه وتعظمه.

٣ ـ تتضمن التزام دوام العبودية. ولهذا قيل: هي من الإقامة، أي: أنا مقيم على طاعتك.

٤ ـ فيها الخضوع، أي: خضوعاً بعد خضوع. من قولهم: أنا ملب بين يديك، أي: خاضع ذليل.

٥ ـ تتضمن الإخلاص. ولهذا قيل: إنها من اللب وهو الخالص.

٦ ـ تتضمن الإقرار بسمع الرب تعالى. إذ يستحيل أن يقول الرجل لبيك لمن لا يسمع دعاءه.

٧ ـ أنها تتضمن التقرب من الله. ولهذا قيل: إنها من الإلباب وهو التقرب.

٨ ـ أنها شعار لتوحيد ملة إبراهيم، الذي هو روح الحج ومقصده بل روح العبادات كلها والمقصود منها.

٩ ـ أنها متضمنة لمفتاح الجنة. وهو: كلمة الإخلاص والشهادة لله بأنه لا شريك له.

١٠ ـ مشتملة على الحمد لله، الذي هو من أحب ما يتقرب به العبد إلى الله، وأول من يُدْعَى إلى الجنة أهله، وهو فاتحة الصلاة وخاتمتها.

١١ ـ أنها مشتملة على الاعتراف لله بالنعمة كلها.

١٢ ـ أنها مشتملة على الاعتراف بأن الملك كله لله وحده.

١٣ ـ أن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[(١)]. وقد اشتملت التلبية على هذه الكلمات بعينها، وتضمنت معانيها.

١٤ ـ كلمات التلبية متضمنة للرد على كل مبطل في صفات الله وتوحيده، فإنها مبطلة لقول المشركين على اختلاف طوائفهم ومقالاتهم.

١٥ ـ في إعادة الشهادة له بأنه لا شريك له لطيفة. وهي: أنه لا شريك له في الحمد والنعمة والملك، وأنه لا شريك له في إجابة هذه الدعوة»[(٢)].

---

(١) جامع الترمذي كتاب الدعوات باب في دعاء يوم عرفة (٣٥٨٥). وحسنه الألباني في صحيح جامع الترمذي.

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١٨١/٥، باختصار وتصرف.

خامساً: الطواف حول البيت والتربية على التوحيد:

ويبرز التوحيد هنا في أربع نقاط:

١ ـ استشعار أن هذا البيت بُنِيَ على التوحيد:

قال الله تعالى عن دعاء إبراهيم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

لقد دعا إبراهيم ربه أن يتقبل منه هذا البناء إخلاصاً منه لربه فلم يبن هذا البناء من أجل مطمع دنيوي أو غيره، وكذلك دعا ربه أن يكون مسلماً مستسلماً هو وذريته والأمم من بعده، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج] فإن «الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له»[(١)].

وقد عهد الله لإبراهيم أن يطهر بيته من الشرك فقال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة].

ثم بعد ذلك دعا إبراهيم ربه أن يجنبه هو وذريته الشرك فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

٢ ـ تذكر هدم النبي ﷺ للأصنام التي كانت حول وداخل الكعبة إعلاناً بالتوحيد:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٢٠.

﴿ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]»[(١)]، فالحق هو التوحيد والباطل هو الشرك.

قال الشيخ الشنقيطي: «والمراد بالحق في هذه الآية: هو ما في هذا القرآن العظيم والسنَّة النبوية من دين الإسلام. والمراد بالباطل فيها: الشرك بالله، والمعاصي المخالفة لدين الإسلام.

وقد بيَّن جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الإسلام جاء ثابتاً راسخاً، وأن الشرك بالله زهق. أي: ذهب واضمحل وزال»[(٢)].

٣ ـ الطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر ومسح الركن اليماني تحقيق للتوحيد:

هذه العبادات تشهد بقوة على التوحيد لله تعالى؛ فالطائف يطوف ليس تعظيماً لذلك المبنى الحجري وإنما عبودية لله تعالى، ولذلك وقف عمر بن الخطاب ﷺ أمام الحجر الأسود، فقال كلمته المشهورة: «أما إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[(٣)].

قال الطبري: «إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباعٌ لفعل رسول الله ﷺ، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته، كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تخرق الزقاق. فإن كسر صنماً أو صليباً أو طنبوراً أو ما لا ينتفع بخشبه (٢٤٧٨)، مسلم في الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة (١٧٨١).

(٢) أضواء البيان ٣/١٨٠.

(٣) صحيح البخاري كتاب الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٩٧)، ومسلم كتاب الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (١٢٧٠).

(٤) نقله ابن حجر في الفتح ٣/٤٦٣.

قال ابن تيمية: «وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس، ولا بحجرة النبي ﷺ، ولا بالقبة التي في جبل عرفات، ولا غير ذلك. وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين»[(١)].

٤ ـ إعلان التوحيد عند كل شوط من أشواط الطواف:

وذلك بالتكبير عند محاذاة الحجر الأسود في بداية الطواف وفي بداية كل شوط فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ طاف بالبيت وهو على بعير كلما أتى على الركن أشار إليه بشيء في يده وكبر»[(٢)].

فالله تعالى أكبر من كل شيء، ومن كل معبود من دونه، ومن كل عبادة لا يراد بها وجهه ورضاه.

سادساً: ركعتي الطواف وإعلان التوحيد:

كان من هدي النبي ﷺ كما في حديث جابر المتقدم أنه كان يصلي بعد الطواف ركعتين؛ تلبية لأمر الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

يصلي في الأولى بـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]. يعلن بذلك توحيد العبادة لله تعالى ونفي الشرك عنه.

«فالغرض الذي اشتملت عليه السورة هو تيئيس للكفار من أن يوافقهم النبي ﷺ في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال وأن دين الإسلام لا يخالط شيئاً من دين الشرك»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٥٢٢.
(٢) صحيح البخاري كتاب الحج باب المريض يطوف راكباً (١٦٣٢).
(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٥٨٠.

قال ابن كثير: «فهذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه[1].

وفي الثانية بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] تعظيماً وإجلالاً لله، ونفياً عن ما يضاد ذلك مما نسبه له المشركون.

ففيها «إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه لا يقصد في الحوائج غيره، وتنزيهه عن سمات المخلوقات وإبطال أن يكون له ابن، وإبطال أن يكون له مثيل أو شبيه»[2]. «فهي بذلك مشتملة على توحيد الأسماء والصفات»[3].

سابعاً: السعي بين الصفا والمروة وتحقيق التوحيد:

ويبرز التوحيد هنا في ثلاث نقاط:

١ ـ استشعار أول لحظة أعلن فيها رسول الله ﷺ كلمة التوحيد:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء]. صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يا بني فهر يا بني عدي**..» لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي**». قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا[4]!!.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٠٧/٨ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير ٦١٢/٢٤ بتصرف.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن (٩٣٧).
(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الشعراء (٤٧٧٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ (٣٥٥).

٢ ـ بدأ النبي ﷺ شعيرة السعي بآيات تدل على التوحيد:

فقد ورد في حديث جابر المتقدم أن النبي ﷺ قرأ عند بداية الصفا والمروة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة]. فنسبها شعيرة لله تعالى توحيداً لله تعالى في القصد وإخلاصاً في العمل.

أخرج البخاري بسنده عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنساً رضي الله عنه عن الصفا والمروة. قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية. فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[(١)].

قال الشعبي: «كان أساف على الصفا، وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما فنزلت هذه الآية»[(٢)].

فالظاهر من سبب نزول الآيات أن بعض المسلمين تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة في الحج والعمرة، بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين في الجاهلية، وأنه كان فوقهما صنمان هما إساف ونائلة. فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون في الجاهلية.

«وكان هذا التحرج ثمرة التعليم الطويل، ووضوح التصور الإيماني في نفوسهم، هذا الوضوح الذي يجعلهم يتحرزون ويتوجسون من كل أمر كانوا يزاولونه في الجاهلية. إذ أصبحت نفوسهم من الحساسية في هذه الناحية بحيث تفزع من كل ما كان في الجاهلية، وتتوجس أن يكون منهياً عنه في الإسلام.

وهذا هو التوحيد.. انسلاخٌ كاملٌ عن كل ما في الجاهلية، وتحرج

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة البقرة (٤٤٩٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٤٧٠.

بالغٌ من كل أمر من أمور الجاهلية، وحذر دائم من كل شعور وكل حركة كانت النفس تأتيها في الجاهلية.

ومن ثم فلا حرج ولا تأثم. فالأمر غير الأمر، والاتجاه غير الاتجاه»[(١)].

قال السعدي: «﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: أعلام دينه الظاهرة، التي تعبد الله بها عباده»[(٢)].

٣ ـ دعاء النبي ﷺ بالتوحيد وهو صاعد على الصفا:

فقد ورد في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ وهو صاعد على الصفا كان يدعو ويقول: «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إلٰه إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»[(٣)]، ففي المكان الذي حورب فيه التوحيد يجهر ﷺ بالتوحيد.

ثامناً: الدعاء بالتوحيد هو خير الدعاء في يوم عرفة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[(٤)].

فقوله: ««**خير الدعاء دعاء يوم عرفة**» لأنه أجزل إثابة وأعجل إجابة، «**وخير ما قلت**» أي: ما دعوت «**أنا والنبيون من قبلي**» الظاهر أنه أراد بهم ما يشمل المرسلين «**لا إلٰه**» أي: لا معبود في الوجود بحق «**إلا الله**» الواجب الوجود لذاته «**وحده**» تأكيد لتوحيد الذات والصفات «**لا شريك له**»

---

(١) في ظلال القرآن ١/١٢٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٧٦.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة (٣٥٨٥). وحسَّنه الألباني في صحيح جامع الترمذي.

تأكيد لتوحيد الأفعال «**له الملك**» هذا أخذ في إثبات ما له بعد نفي ما لا يجوز عليه «**وله الحمد**» قدم الملك عليه لأنه ملك فحمد في مملكته.

ثم ختم بقوله: «**وهو على كل شيء قدير**» ليتم معنى الحمد إذ لا يحمد المنعم حقيقة حتى يعلم أنه لو شاء لم ينعم»[1].

بهذا الدعاء العظيم يعلن النبي ﷺ فيه التوحيد بأنواعه الثلاث، وينفي كل التصورات الخاطئة عن الله تعالى الإلٰه الحق.

تاسعاً: التوحيد في نحر الهدي لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير: «يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر] أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى، فالنسك كما قال

---

(١) فيض القدير ٣/٤٧١ باختصار.

مجاهد في قوله: ﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الذبح في الحج والعمرة»[1].

عاشراً: التوحيد في رمي الجمرات:

فقد ثبت عن سالم عن ابن عمر ﷺ: أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات **يكبر على إثر كل حصاة**... ويقول هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله[2].

فكان رسول الله ﷺ يعلن التوحيد مع كل حصاة بقوله: **الله أكبر**. فالله أكبر من كل شيء، ومن كل معبود، ومن كل شريك.

الحادي عشر: التوحيد في أيام منى:

ويبرز ذلك في أمرين:

الأمر الأول: إظهار التوحيد في المواضع التي حورب فيه التوحيد:

فمِنَى هي المكان الذي حورب فيه التوحيد، وتمت فيها معاهدة المقاطعة الجائرة؛ التي دامت ثلاث سنوات للنبي ﷺ ومن كان معه، فقد ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى: «**نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة؛ حيث تقاسموا على الكفر**». يعني: ذلك المحصب؛ وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبدالمطلب أو بني المطلب أن لا ينكاحوهم ولا يبايعوهم حتى يُسْلموا إليهم النبي ﷺ[3].

الأمر الثاني: بناء اللبنة الأولى لدولة التوحيد في أيام التشريق بمنى:

ففي منى وعند العقبة الكبرى تحديداً وفي أيام الحج، وعلى مدار

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٨١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب إذا رمى الجمرتين يقوم ويسهل مستقبل القبلة (١٧٥١).

(٣) صحيح البخاري كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة (١٥٩٠)، ومسلم كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به (١٣١٤).

ثلاث سنوات متتالية؛ شع أول نور سطع على أهل المدينة، بل وانطلاق التوحيد في أرجاء المعمورة بدءاً من هذا اليوم في موسم الحج.

فقد جاء وفد من المدينة في موسم الحج، وعند عقبة منى، قال لهم رسول الله ﷺ: «**من أنتم؟**». قالوا: نفر من الخزرج. قال: «**أمن موالي يهود؟**» قالوا: نعم. قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله ﷻ وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن[(١)].

فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا[(٢)]، وكانوا ستة نفر فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا بينهم فلم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ[(٣)].

ثم كانت بيعة العقبة الأولى في السنة التي تليها، في ذات الوقت، وذات المكان وكانوا اثني عشر رجلاً. قال عبادة بن الصامت عن البيعة في العقبة الأولى: فبايعنا رسول الله ﷺ: **على ألا نشرك بالله**، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف..»[(٤)].

ثم كانت بيعة العقبة الثانية في المكان والوقت نفسه، من العام الذي يلي بيعة العقبة الأولى: قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «..فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر**

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/٤١ ـ ٤٢.

(٢) البداية والنهاية ٣/١٤٨، ١٤٩.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٣/١٤٧.

(٤) مسند أحمد ٥/٣٢٣ (٢٢٨٠٦)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة»[1].

نعم بدأ النبي ﷺ دعوته لهم في موسم الحج بالتوحيد، ورجعوا فنشروا التوحيد ثم جاؤوا وبايعوا على الالتزام بالتوحيد، ثم جاؤوا مرة ثالثة نصرة لأهل التوحيد.

الثاني عشر: الدعاء في الحج والتوحيد:

بين الله تعالى حال الناس في الحج في الدعاء فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

الدعاء هذه العبادة العظيمة هي من أبرز عبادات الحج فهو تدريب عملي وتربية للمسلم على دعاء الله تعالى، فالحج كله دعاء وتضرع، ولا يصرف هذا الدعاء إلا لله تعالى.

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

❋ ❋ ❋

(١) مسند أحمد ٣/٣٢٢ (١٤٤٦٩) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

المطلب الثالث
البراءة من المخالفين للتوحيد وأعمالهم ومخالفتها

تبرأ ﷺ من أعمال المشركين في عدة مواقف في الحج، ومنها:

أولاً: إعلان البراءة من المشركين في الحج:

قال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

«أمر الله رسوله ﷺ أن يُعْلم مشركي العرب في يوم الحج الأكبر ببراءته من عهودهم، فبعث علياً ﷺ حيث قرأ صدر براءة عليهم يوم النحر، ثم خاطب المشركين فقال: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإقامة عليه، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لا تفوتونه بأنفسكم عن العذاب، أو أوعدهم بعذاب الآخرة فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾»[1].

ثانياً: منع المشركين من الحج ما داموا على الشرك:

فإنه ﷺ حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة] تمثل ذلك وعمل به.

قال ابن كثير: «أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين، الذين هم نَجَس ديناً، عن المسجد الحرام، وألا يقربوه بعد

---

(١) الوجيز ٤٥٢/١.

نزول هذه الآية. وكان نزولها في سنة تسع»[1] فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه بأن يؤذن في الناس سنة تسع «**أن لا يحج بعد العام مشرك**»[2].

ثالثاً: التبرؤ من المشركين في تلبيتهم:

فقد تبرأ رسول الله ﷺ من التلبية التي كان يلبي بها المشركون، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك ـ قال ـ فيقول رسول الله ﷺ: «**ويلكم قد قد**». فيقولون: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. يقولون: هذا وهم يطوفون بالبيت»[3].

فقوله ﷺ: «**ويلكم قد قد**» نهي لهم عن الزيادة على ذلك، قال النووي: «كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا»[4]، أي: لا تزيدوا على قولكم: لبيك لا شريك لك، ولكنهم كانوا يزيدون ما أوقعهم في الشرك.

فكانت التلبية الصحيحة التي وحد بها رسول الله تعالى الله وتبرأ بها عن كلام المشركين قوله: «**لبيك اللَّهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**»[5].

رابعاً: التبرؤ من المشركين في لباس الطواف:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

عن هشام عن أبيه قال: «كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحُمس

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٣١/٤.
(٢) صحيح البخاري، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك (١٦٢٢)، ومسلم في الحج، باب لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان (١٣٤٧).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج باب التلبية وصفتها ووقتها (١١٨٥).
(٤) شرح النووي على مسلم ٣٣٢/٤.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها (١١٨٤).

والحمس قريش وما ولدت كانوا يطوفون عراة إلا أن تعطيهم الحُمس ثياباً فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء»[(١)].

حيث أمر رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ بأن يؤذن في الناس سنة تسع «**أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان**»[(٢)].

قال الشيخ الشنقيطي: «وجوب ستر العورة للطواف، يدل عليه كتاب الله في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]»[(٣)].

«قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، يعني: الثياب. قال مجاهد: ما يواري عورتك ولو عباءة»[(٤)].

خامساً: التبرؤ من المشركين في أعمالهم في الطواف:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [الأنفال].

قال ابن عباس ﷺ: «كانت قريش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم»[(٥)].

قال السدي: «المِكَاء: الصفير، والتصدية: التصفيق»[(٦)].

وكل ذلك محاربة للتوحيد واستهزاء به وصد عنه «قال مجاهد: وإنما

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ (١٢١٩).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أضواء البيان ٤/٤٠١.
(٤) تفسير البغوي ٣/٢٢٥.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٧/٤٠٠.
(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢.

كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلاته، وقال الزهري: يستهزئون بالمؤمنين، وعن سعيد بن جُبَيْر وعبدالرحمٰن بن زيد: ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ قال: صدُّهم الناس عن سبيل الله، ﷻ»[1].

وجاء الإسلام وتبرأ من هذا اللعب الذي يظنه المشركون عبادة، وجعل العبادة هي الذكر والدعاء فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله** ﷻ»[2].

وعن عبدالله بن السائب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[3].

سادساً: التبرؤ من المشركين في عدم السعي بين الصفا والمروة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].

أمر النبي ﷺ الصحابة بالسعي بين الصفا والمروة حيث قال: «**اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي**»[4]، وذلك مخالفة للمشركين حيث كانوا عندما يتنسكون لأصنامهم لا يحل لهم السعي بين الصفا والمروة.

فعن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي ﷺ قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة] فلا أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما!! فقالت: كلا؛ لو كانت كما تقول

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٣.
(٢) مسند أحمد ٦/٧٥ (٢٤٥١٢)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.
(٣) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الدعاء في الطواف (١٨٩٤) وحسنه الألباني.
(٤) مسند أحمد ٦/٤٢١ (٢٧٤٠٧) قال شعيب الأرناؤوط: حسن بطرقه وشاهده.

كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما!!. إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة ـ وكانت مناة حذو قديد ـ وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ زاد سفيان وأبو معاوية عن هشام: ما أتم الله حج امرءٍ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة[1].

سابعاً: البراءة من الجاهلية وشركها في خطبته يوم عرفة:

فقد تبرأ ﷺ في خطبة عرفة، تنفيذاً لأمر الله تعالى من أعمال المشركين. فقال: «**ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث؛ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا؛ ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله**»[2].

ثامناً: التبرؤ من المشركين في عدم إهلالهم بالعمرة في أشهر الحج:

كان المشركون لا يرون حل العمرة في أشهر الحج؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «والله ما أَعْمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجة؛ إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك. فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون إذا عفا الوبر، وبرأ الدبر، ودخل صفر، فقد حلت العمرة لمن اعتمر. فكانوا لا يحرمون بالعمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أبواب العمرة، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج (١٧٩٠)، ومسلم كتاب باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (١٢٧٧).

(٢) تقدم تخريجه في حديث جابر المتقدم.

(٣) سنن أبي داود كتاب المناسك باب العمرة (١٩٨٧) وحسَّنه الألباني.

وكذلك أمر رسول الله ﷺ الصحابة بالتمتع لمن لم يسق الهدي منهم، أي: أن يأتوا بعمرة في أشهر الحج.

تاسعاً: التبرؤ من المشركين في عدم الوقوف بعرفة:

وقد تبرأ النبي ﷺ من فعل الكفار الذين كانوا لا يقفون بعرفة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمس هم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة]، قالت: كان الناس يفيضون من عرفات، وكان الحمس يفيضون من المزدلفة. يقولون: **لا نفيض إلا من الحرم**. فلما نزلت ﴿أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ رجعوا إلى عرفات[1].

عاشراً: التبرؤ من المشركين في صفة الإفاضة من عرفة ومزدلفة:

فقد تبرأ النبي ﷺ وخالف فعل المشركين في الحج حيث أنهم كانوا يفيضون من عرفة قبل المغيب ومن مزدلفة بعد الشروق فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد: فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها، هَدْينا مخالفٌ هديهم. وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها، هَدْينا مخالفٌ لهديهم**»[2].

الحادي عشر: التبرؤ من المشركين بدخولهم البيوت من ظهورها عند الإحرام:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ (١٢١٩).

(٢) سنن البيهقي الكبرى ١٢٥/٥، المستدرك ٣٠٤/٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

﴿ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتَوْا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[1].

قال السعدي: «وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبداً بذلك، وظناً أنه برٌ. فأخبر الله أنه ليس ببرٍ. لأن الله تعالى لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله فهو متعبد ببدعة. وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها، لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع.

ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً. فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، ويحصل به مقصوده.

وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود»[2].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٨.

المبحث الثاني
التربية على الإيمان بعقيدة الموت والبعث والقيامة

من لطائف سورة الحج أنها بدأت بالحديث والتحذير من يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [الحج].

ثم بالحديث عن البعث والنشور وإقامة الحجة على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج].

ثم أمر إبراهيم عليه السلام بالأذان بالحج فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧﴾ [الحج].

وفي مواضع كثيرة من آيات الحج نجد التذكير بهذا الركن من أركان الإيمان، فما الرابط بين الحج والبعث والإيمان باليوم الآخر؟

الإجابة باختصار تدور حول أن الله تعالى أراد أن يربي الأمة على الإيمان باليوم الآخر من خلال هذا الركن من أركان الإسلام، لأن الله تعالى

أنزل الآيات في موضعها المناسب، بتدبير وحكمة لا يعلمها إلا هو، ولكن العبد يجتهد في تحرّي هذا المعنى لعله يوصله لفهم هدف الآيات التي يتلوها. فسبحان الحكيم القدير.

فالحج من أعظم ما يُذكِّر بعقيدة البعث ويوم القيامة، فقد ورد التذكير بالآخرة والإيمان بها وبدلالاتها في مواضع كثيرة ضمن آيات الحج وشعائره ومشاعره، ويمكن بيانها في المطالب التالية:

❋ ❋ ❋

المطلب الأول
التذكر بالموت الذي هو بداية الآخرة لكل إنسان

يمكن بيان تذكرة الحج بالموت في النقاط التالية:

أولاً: تذكير الله تعالى بالموت في سورة الحج:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج].

فذكر بالموت بقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾، أي: «قبل بلوغ بعض الأطوار. وأما أصل الوفاة فهي لاحقة لكل إنسان لا لبعضهم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ هو عديل قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾. وسكت

عن ذكر الموت بعد أرذل العمر لأنه معلوم بطريقة لحن الخطاب»[1].

وبقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾، وقوله في نفس السورة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج].

ثانياً: توديع الأهل وكتابة الوصية ودوره في التذكير بالموت:

من السنن النبوية أن الإنسان عندما يريد السفر يودع أهله وإخوانه ومن يحب، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال ﷺ: «**من أراد سفراً فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه**»[2].

ومن السنن النبوية في السفر كذلك كتابة الوصية فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»[3].

فكتابة الوصية واجبة على كل مسلم في كل وقت، وهي في مثل حال السفر أشد وجوباً فلعله لا يرجع من سفره. وذلك بأن يكتب فيها حقوق الله التي لم يؤدها مثل الزكاة والصوم ونحوهما وحقوق الناس المالية وغيرها ويوصي ورثته بأدائها، كما يوصي أهله بترك المعاصي والمحافظة على الصلاة وأوامر الله سبحانه والابتعاد عن نواهيه.

فالمسلم عندما يعزم على السفر للحج وعند توديعه أهله يودعهم وهو مسرور لأنه مسافر إلى الله تعالى تلبية لندائه بالحج.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠١/١٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم (٢٨٢٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٤٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا (٢٧٣٨)، ومسلم كتاب الوصية (١٦٢٧).

يودعهم وقد كتب وصيته وهم يبكون حزناً على فراقه، وخشية ألا يلقونه في هذه الدنيا. وهنا يتذكر العبد يوم موته وإذا بأهله حوله يبكون ولكن ما هو حاله؟ أيكون مسروراً بلقاء ربه؟ أم حزيناً على هذه الدنيا؟

ثالثاً: لبس الإحرام ودوره في التذكير بالموت:

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم**»[1].

ذلكم اللباس البسيط الذي يتكون من رداء وإزار فقط يلبسه الناس جميعاً، وأجسادهم عارية، لا يُفَرِّق بين رئيس ومرؤوس، وغني وفقير.

يصل الإنسان إلى الميقات فيتذكر الموت عندما ينزع هو بنفسه ثيابه، حيث إنه عند موته تُنزع عنه ثيابه.

يتذكر الموت عندما يغتسل هو بنفسه، أما عند موته فهو يُغسل من قبل غيره.

يتذكر الموت عندما يلبس ذلكم الإحرام المتكون من قطعتين من القماش الأبيض، حيث إنه عند موته سيلف بقطعتين كذلك من القماش الأبيض ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق].

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
التذكير بالبعث من القبور والحشر إلى الله عند الحديث عن الحج

يمكن إجمال التذكير بيوم الحشر في النقاط التالية:

---

(١) مسند أحمد ١/٢٤٧ (٢٢١٩) قال شعيب الأرناؤوط: صحيح.

أولاً: التذكير بالبعث والحشر في سورة الحج:

قال تعالى في مفتتح سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج].

ورَدٌّ على من لا يؤمن بالبعث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج]. وكان ذلك قبل آيات الحج ومشاعره في تلك السورة الكريمة.

ثانياً: التذكير بيوم الحشر ضمن آيات الحج:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝١٠٣﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩٦﴾ [المائدة].

ففي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ «تحريض على التقوى وتحذير من خلافها؛ لأن من علم ذلك سعى لما يجلب رضا المرجوع إليه وتجنب سخطه. فالأمر في ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ للتذكير، لأن ذلك معلوم عندهم.

والحشر: الجمع بعد التفرق فلذلك ناسب قوله: ﴿تُحْشَرُونَ﴾ حالتي تفرق الحجيج بعد انقضاء الحج واجتماع أفراد كل فريق منهم إلى بلده بعد ذلك.

واختير لفظ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ هنا دون تصيرون أو ترجعون، لأن تحشرون أجمع لأنه يدل على المصير وعلى الرجوع مع الدلالة على أنهم يصيرون مجتمعين كلهم كما كانوا مجتمعين حين استحضار حالهم في هذا الخطاب وهو اجتماع الحج، ولأن الناس بعد الحج يحشرون إلى مواطنهم فذكرهم بالحشر العظيم»[(١)].

«وإنما حذرهم الله تعالى لأنهم إذا رجعوا من حجهم يجترئون على الله تعالى بالمعاصي فحذرهم من ذلك»[(٢)].

«فهو تأكيد للأمر بالتقوى، وبعث على التشديد فيه، لأن من تصور أنه لا بد من حشر ومحاسبة ومساءلة، وأن بعد الموت لا دار إلا الجنة أو النار، صار ذلك من أقوى الدواعي له إلى التقوى»[(٣)].

قال السعدي: «أي: اتقوه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، واستعينوا على تقواه بعلمكم أنكم إليه تحشرون. فيجازيكم، هل قمتم بتقواه فيثيبكم الثواب الجزيل، أم لم تقوموا بها فيعاقبكم»[(٤)].

ثالثاً: التذكير بالحساب والعرض على الله يوم الحشر:

أشار الله تعالى إلى موقف العرض عليه يوم القيامة ضمن آيات الدعاء في الحج فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٢٨٩.
(٢) بحر العلوم ١/١٦٢.
(٣) تفسير الرازي ٥/١٦٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢٤٤.

قال ابن عاشور: «هذا تذييل قصد به تحقيق الوعد بحصول الإجابة، وزيادة تبشير لأهل ذلك الموقف، لأن إجابة الدعاء فيه سريعة الحصول، فعلم أن الحساب هنا أطلق على مراعاة العمل والجزاء عليه»[(١)].

«قال الكلبي: إذا حاسب فحسابه سريع، ويقال: والله سريع الحفظ.

وقال الضحاك: يعني لا يغالط العباد في الحساب يوم القيامة، ولا يشغله ذلك.

ويقال: يحاسب كل إنسان فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة»[(٢)].

«قيل لبعضهم: كيف يحاسب الله الخلق في وقت واحد؟ قال: كما يرزقهم في وقت واحد. وفيه ترغيب بأنه لا ينسى عملاً، وترهيب بأنّه لا يمشي عليه باطل ولا يقدر على مدافعته مطاول»[(٣)].

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث
التذكير بيوم الحشر في أعمال الحج

تذكر أعمال الحج بيوم الحشر ويظهر ذلك في عدد من المشاهد:

المشهد الأول: مشهد كثرة الناس واختلاف مستوياتهم:

فكثرة الناس في الحج، وهم من كل مكان، ومن كل المستويات يُذكرنا بيوم القيامة حيث أن الله تعالى يبعث الأولين والآخرين قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ [التغابن: ٩]،

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٢٨٦.
(٢) بحر العلوم ١/١٦١.
(٣) نظم الدرر ١/٣٨١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف].

وقال ﷺ: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياماً شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فَصْل القضاء**»(١).

المشهد الثاني: هيئة الناس ولباسهم في الحج:

فهيئة الناس ولباسهم في الحج تُذكرنا بيوم القيامة حيث يجمع الله الناس كلهم على هيئة واحدة حفاة عراة غرلاً، ولكن أحوالهم مختلفة من حيث الفزع وعدمه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف].

قال الشيخ الشنقيطي: «أي منفردين لا مال، ولا أثاث، ولا رقيق، ولا خَوَلَ عندكم، حفاة عراة غرلاً، أي: غير مختونين»(٢)، كما قال ﷺ: «**يأيها الناس، إنكم محشورون إلى الله ﷻ، حفاة عراة غُرْلاً كما بدأنا أول خلق نعيده، وإن أول الخلائق يُكْسى إبراهيم**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤١٦/٩، ٤١٧ مطولاً، وقال الذهبي: «إسناده حسن».

(٢) أضواء البيان ٤٨٨/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٣٤٤٧).

المشهد الثالث: الأماكن التي يجتمع فيها الناس:

وكذلك الأماكن التي يجتمع فيها الناس تذكرنا بيوم القيامة فهم يجتمعون في بلد واحد، على أرض واحدة ضيقة السبل، محوطة بحدود معينة، لا يجوز تجاوزها، فهم يجتمعون عند الكعبة وفي عرفات وفي مزدلفة وفي منى، وكذلك يوم القيامة يجمعهم الله في صعيد واحد[1].

المشهد الرابع: نوم الحجاج في مزدلفة:

نوم الحجاج في مزدلفة على الأرض وعلى التراب في مكان واحد، مصطفين في نومهم، متعبين من مشقة يوم عرفة كأنهم في قبورهم.

فإذا بأذان الفجر يوم العيد يؤذن وكأنها الصيحة التي يقوم الناس فيها لرب العالمين، والتراب على ملابسهم كأنهم خرجوا من قبورهم هذه اللحظة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر].

وتراهم يستيقظون من تعب ملبين نداء الله تعالى، صافين للصلاة كأنهم في يوم القيامة.. وفي عرصات القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه].

المشهد الخامس: موقف الناس في مزدلفة بعد صلاة الفجر للدعاء:

تراهم في مزدلفة بعد الفجر يقفون يدعون الله تعالى حتى تسفر الشمس كما فعل النبي ﷺ، وهذا الموقف يذكرهم بيوم القيامة وهم ينتظرون أن يبدأ الحساب والجميع يقول: اللَّهم سلم سلم. فقد ثبت في وصف يوم القيامة قول النبي ﷺ: «**فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم**

---

(١) كما ورد في صحيح البخاري، كتاب الأنبياء باب ـ ٥ ـ (٣١٦٢) و(٤٤٣٥، ٣١٨٢)، ومسلم كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) وغيرهما.

فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد، إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللَّهم سلم سلم»[1].

❋ ❋ ❋

المطلب الرابع
التذكير باليوم الآخر والجنة والنار

وهذا التذكير جاء في عدد من المواضع ومنها:

الموضع الأول: التذكير باليوم الآخر عند الحديث عن رزق البلد الأمين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة].

قال السعدي: «أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلداً آمناً، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدباً مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم.

فلما دعا لهم بالرزق، وقيده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلاً ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ أي: ألجئه وأخرجه مكرهاً ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب فضل السجود (٨٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٦.

الموضع الثاني: التذكير باليوم الآخر عند الحديث عن المسجد الحرام والقتال في الأشهر الحرم:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

الموضع الثالث: التذكير باليوم الآخر عند الدعاء في الحج:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

فقد حث الله تعالى على الجمع بين الدعاء للدنيا والآخرة «فجمعت هذه الدعوةُ كلَّ خير في الدنيا، وصرَفت كلّ شر فإن الحسنة في الدنيا تشملُ كلّ مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسناء، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عباراتُ المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام»[1].

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٥٨.

الموضع الرابع: عند الحديث عن إنذار أم القرى ومن حولها:

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى].

الموضع الخامس: عند الحديث عن المفاضلة بين خدمة الحجاج والإيمان بالله واليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة].

ففضل الله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر على من يخدم الحجاج من الكفار.

لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما.

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالاً صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٣٣١ باختصار.

الفصل الثاني
تعظيم شعائر الله في الحج كما عرضها القرآن

تمهيد:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

«الشعائر: جمع شعيرة: المَعْلم الواضح، مشتقة من الشعور. وشعائر الله: لقب لمناسك الحجّ. جمع شعيرة بمعنى: مُشعِرة بصيغة اسم الفاعل، أي: معلمة بما عينه الله.

فكل ما أمر الله به؛ بزيارته، أو بفعل يُوقع فيه، فهو من شعائر الله. وهي معالم الحجّ: الكعبة، والصفا والمروة، وعَرَفة، والمشعر الحرام، ونحوها من معالم الحجّ»[(١)].

وقال السعدي: «والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، وتعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، وتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير ٩/٣٤٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٨ باختصار.

وقد عظم الله تعالى هذه الشعائر وأمر بتعظيمها ويمكن بيان ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى لمكة والبيت الحرام.

المبحث الثاني: دعاء إبراهيم عليه السلام لتعظيم هذه المشاعر.

المبحث الثالث: تعظيم الحجاج والمعتمرين وغيرهم لكل شعائر الله:

المطلب الأول: تعظيم شعائر الله بتحريم الصيد أثناء الإحرام.

المطلب الثاني: تعظيم شعائر الله بترك القتال في الأشهر الحرم.

المطلب الثالث: تعظيم الهدي الذي يهدى إلى بيت الله في حج أو عمرة.

المطلب الرابع: من تعظيم شعائر الله تعالى أن تُؤدى حقوق هذه الشعائر.

المطلب الخامس: أن يعلم المحرم والداخل لمكة أنه في أمان الله فلا يتعرض لسخطه.

المطلب السادس: تعظيم شعائر الله تعالى بإقامة العبادات فيها على الوجه المشروع.

المطلب السابع: التعقيبات القرآنية على محظورات الإحرام ودورها في التعظيم.

المبحث الأول
تعظيم الله تعالى لمكة والبيت الحرام

عظم الله تبارك وتعالى البيت الحرام خصوصاً ومكانه عموماً من بين البلاد والبقاع، وقد تجلى ذلك التعظيم في مظاهر عديدة نذكر منها تسعةً، وهي مما يجب العناية به، وتعظيمه لتعظيم الله، واتباعاً لشرعه، واقتداءً بالأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وهي:

أولاً: تعظيمه بالأمن لمن دخل البيت الحرام أو عاش فيه:

قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]. «أي: مرجعاً يثوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطراً، وجعله أَمْناً يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار، ولهذا كانوا في الجاهلية ـ على شركهم ـ يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام، زاده حرمة وتعظيماً، وتشريفاً وتكريماً»[(١)].

وامتن الله على أهل مكة بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٥.

قال الشيخ الشنقيطي: «امتنّ الله جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة على قريش، بأنه جعل لهم حرماً آمناً، يعني: حرم مكة، فهم آمنون فيه على أموالهم ودمائهم، والناس الخارجون عن الحرم، يتخطفون قتلاً وأسراً»[1].

وقد أقسم الله تعالى بأمن هذا البلد فقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]. وجعل واجب تلك المنة تعظيم البيت وتعظيم رب البيت بالتوحيد ونبذ الشرك والمعصية فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش]، قال ابن جرير: «أما الأمن الذي آمنهم الله منه هو: الأمن من العدو، والأمن الصحي، وجميع أنواع الأمن التي يطمئن إليها الإنسان[2].

فإن قلت: أي فرق بين دعاء إبراهيم بقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وبين دعائه بقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم]. فالجواب أن يقال: «قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وسأل في الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمناً»[3].

ثانياً: تعظيم الله تعالى لمكة بالأمن والرغد الاقتصادي:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [القصص].

وهذا من بركة دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام لهذا البلد بالأمن

---

(١) أضواء البيان ٦/١٦٣.
(٢) جامع البيان ٢٤/٦٥٦.
(٣) الكشاف ٢/٥٢٣.

والرزق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وهذا الأمن الذي دعا به إبراهيم عليه السلام شمل الأمن على النفس، والأمن على المال، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش].

ثالثاً: حفظ الله تعالى للكعبة تعظيماً لها:

فقد شمل التعظيم لمكة حفظه الله سبحانه للكعبة فقال تعالى عن الذين أرادوا هدم الكعبة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل].

قال ابن كثير: «فلم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق، الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء»[(١)]، «فقصة أصحاب الفيل هي إحدى آيات قدرة الله وأثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه»[(٢)].

فهذا رسول الله ﷺ لما أَطَلَّ يوم الحديبية على الثَنِيَّة التي تهبط بها على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحَّت، فقالوا: خلأت القصواء. ـ أي: حَرَنت ـ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يُعَظمون فيها حُرُمات الله، إلا أجبتهم إليها**». ثم زجرها فقامت[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٨٣.

(٢) محاسن التفسير للقاسمي ١٧/٢٦٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣١).

وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسَلَّط عليها رسوله والمؤمنين. وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»[1].

رابعاً: توعد الله تعالى من أراد الإلحاد والظلم في الحرم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

قال السعدي: «فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم؛ من الكفر والشرك، والصد عن سبيله، ومنع من يريده بزيارة، فما ظنكم أن يفعل الله بهم. ففي هذه الآية الكريمة، وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها»[2].

قال القرطبي: «ذهب قوم من أهل التأويل إلى أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة؛ وإن لم يعمله. وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر ﷺ حيث قالوا: لو همّ رجل بقتل رجل بهذا البيت وهو بِعَدَن لعذبه الله.

قلت: هذا صحيح وقد جاء هذا المعنى في سورة القلم في قصة أصحاب الجنة الذين بيتوا نية عدم إعطاء الفقراء حقهم من الزكاة فأنزل الله الهلاك على جنتهم.

والظلم يجمع جميع المعاصي، من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه. ومن نوى سيئة ولم يعملها لم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب (١٠٥)، ومسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها (١٣٥٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٤٦.

يحاسب عليها إلا في مكة. هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم[1].

خامساً: الاعتقاد والتصريح بتعظيم مكة والبيت الحرام وبركتهما:

فقد عظم الله تعالى بيته بأن رفع شأنه قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن عاشور: «هذه منقبة: لإبراهيم عليه السلام، وتذكيرٌ بشرف الكعبة»[2]، وقال الألوسي: «وإذ للمضي وآثر صيغة المضارع ـ مع أن القصة ماضية ـ استحضاراً لهذا الأمر: ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة، مع الابتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبني فيعظموه»[3].

وبين الله تعالى سبب ذلك التعظيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

قال السعدي: «يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية»[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣١/١٢ باختصار.

(٢) التحرير والتنوير ٥٦/٢.

(٣) روح المعاني ٣٨٣/١.

(٤) تيسير الكريم الرحمٰن، ص١٣٨.

قال الشوكاني: «والبركة: كثرة الخير الحاصل لمن يستقر فيه أو يقصده أي: الثواب المتضاعف»[(١)]، فقد ثبت أن الأجر مضاعف لمن صلى فيه عن غيره من الأماكن: قال ﷺ: «**وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**»[(٢)].

وقيل: «والبركة كثرة الخير ودوامه وليس في بيوت العالم، أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدوم ولا أنفع للخلائق»[(٣)].

وقيل: «أي: عظيم الثبات كثير الخيرات في الدين والدنيا»[(٤)].

وقيل: «أي: وضع مباركاً كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره، ومصدر الهداية والنور لأهل الأرض لأنه قبلتهم»[(٥)].

ومن بركته الظاهرة كذلك ماء زمزم الذي ينبع من حول البيت، ويشرب منه كل من يأتي البيت، من يوم أن حفره عبدالمطلب جد النبي ﷺ، إلى وقتنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبركة هذا الماء ليست في شربه فقط، بل في أمور كثيرة أجملها رسول الله ﷺ بقوله: «**ماء زمزم لما شرب له**»[(٦)].

«قال مجاهد: إن شربته تريد الشفاء شفاك الله، وإن شربته تريد أن تقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته تريد أن يشبعك أشبعك الله.

وقال وهب بن منبه: تجدها في كتاب الله. يعني: زمزم شراب

---

(١) فتح القدير ٥٤٦/١.
(٢) مسند أحمد ٣٩٧/٣ (١٥٣٠٦) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.
(٣) جامع لطائف التفسير ٢٤١/١٥.
(٤) نظم الدرر ١٢٧/٢.
(٥) صفوة التفاسير ١٣٩/١.
(٦) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من ماء زمزم (٣٠٦٢)، وصححه الألباني.

الأبرار، وطعام طعم، وشفاء من سقم، ولا تُنْزَحُ ولا تُذَمُّ، من شرب منها حتى يتضلع أحدثت له شفاء، وأخرجت منه داء»[1].

سادساً: عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل تطهير البيت:

من تعظيم الله تعالى لشعائره تطهيرها من كل ما يقدح فيها قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

قال مجاهد وسعيد بن جُبَير: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ «من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس»[2].

وقال الماوردي: «﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: من الأصنام، والثاني: من الكفار، والثالث: من الأنجاس»[3].

وقال الطنطاوي: «ومعنى تطهيره: صيانته من كل ما لا يليق ببيوت الله من الأقذار والأرجاس والأوثان وكل ما كان مظنة للشرك، فالمقصود تطهيره من كل رجس حسي ومعنوي»[4].

ومن تطهير البيت أن لا يدخله المشركون قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة].

فقد «أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين، الذين هم نَجَس ديناً، عن المسجد الحرام، وألا يقربوه بعد نزول هذه الآية»[5].

---

(١) شرح البخاري لابن بطال ٣١٦/٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤١٩/١.
(٣) النكت والعيون ١٨٨/١.
(٤) تفسير الوسيط ٢٠٥/١.
(٥) تفسير القرآن العظيم ١٣٠/٤.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ «يجسم نجاسة أرواحهم؛ فيجعلها ماهيتهم وكيانهم. فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس، يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون! وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة، فأجسامهم ليست نجسة بذاتها. إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم[1].

وتلك غاية في تحريم وجودهم بالمسجد الحرام، حتى لينصبّ النهي على مجرد القرب منه، ويعلل بأنهم نجس، وهو ـ أي المسجد الحرام ـ الطهور!»[2].

سابعاً: عدم جواز التقاتل عند المسجد الحرام إلا لرد الاعتداء:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة].

قال أبو جعفر: «ولا تبتدئوا أيها المؤمنون المشركين بالقتال عند المسجد الحرام، حتى يبدؤوكم به، فإن بدؤوكم به هناك عند المسجد الحرَام في الحرم، فاقتلوهم، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ يعني: تعالى ذكره بذلك: فإن انتهى الكافرون الذين يقاتلونكم عن قتالكم وكفرهم بالله، فتركوا ذلك وتابوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب من آمن منهم وتاب من شركه، وأناب إلى الله من معاصيه التي سلفت منه وأيامه التي مَضت ﴿رَّحِيمٌ﴾ به في آخرته بفضله عليه، وإعطائه ما يعطى أهل طاعته من الثواب، بإنابته إلى محبته من معصيته»[3].

ثامناً: تسهيل الوصول إلى المسجد الحرام وتأمين قاصديه:

قال تعالى عن المشركين: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) أي: تمثيل الأمور المعنوية بالأمور الحسية التي لا ينكرها الإنسان.
(٢) في ظلال القرآن ٣/٤٩٥. بتصرف يسير.
(٣) جامع البيان ٣/٥٦٩.

قال ابن كثير: «وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي ببكة، يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ أي: هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله النبي ﷺ وأصحابه»[(١)].

وقال تعالى محذراً الذين يصدون عن البيت الحرام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾ [المائدة: ٢].

فقوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾ «أي: من قصد هذا البيت الحرام؛ وقصده: فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة. أو قصده: رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به والصلاة، وغيرها من أنواع العبادات. فلا تتعرضوا له بسوء، ولا تهينوه. بل أكرموه، وعظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم. ودخل في هذا الأمر الأمرُ بتأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله وجعل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكس والنهب ونحو ذلك»[(٢)].

«إنها منطقة الأمان يقيمها الله في بيته الحرام؛ كما يقيم فترة الأمان في الأشهر الحرم، منطقة يأمن فيها الناس والحيوان والطير والشجر أن ينالها الأذى. وأن يروعها العدوان، إنه السلام المطلق يرفرف على هذا البيت؛ استجابة لدعوة إبراهيم أبي هذه الأمة الكريم، ويرفرف على الأرض كلها أربعة أشهر كاملة في العام في ظل الإسلام وهو سلام يتذوق القلب البشري حلاوته وطمأنينته وأمنه؛ ليحرص عليه ـ بشروطه ـ وليحفظ عقد الله وميثاقه، وليحاول أن يطبقه في الحياة كلها على مدار العام، وفي كل مكان»[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥١.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.

(٣) في ظلال القرآن ٢/٣٠٩.

تاسعاً: تعظيم العهد عند المسجد الحرام:

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة].

قال الطبري: «أنّى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله، وبأيِّ معنى، يكون للمشركين بربهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله، يوفّى لهم به، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد؟ وإنما معناه: لا عهد لهم، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم، فإن الله جلَّ ثناؤه أمرَ المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين»[(١)].

فعن زيد بن أثيع ـ رجل من همدان ـ سألنا علياً ﷺ: بأي شيء بُعِثْتَ يعني يوم بعثه النبي ﷺ مع أبي بكر ﷺ في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا**»[(٢)].

قال ابن جرير: «وذلك أن الله لم يأمر نبيه ﷺ بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض قبل التأجيل، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود. فأما من كان أجله محدوداً، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً، فإن رسول الله ﷺ كان بإتمام عهده إلى غايته مأموراً. وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب»[(٣)].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) جامع البيان ١٤/١٤١.

(٢) مسند أحمد ١/٧٩ (٥٤٩)، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير زيد بن أثيع.

(٣) جامع البيان ١٤/١٠٣.

المبحث الثاني
دعاء إبراهيم عليه السلام لتعظيم هذه المشاعر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

إن دعاء إبراهيم عليه السلام الله تعالى بهذه الأدعية كلها يمثل قمة التعظيم والتقدير لتلك البقع المباركة والأعمال الفاضلة التي ستؤدى فيها.

ومن جانب آخر فإن في تلك الأدعية إبرازٌ لوسائل متعددة لتعظيم شعائر الله تعالى، ومن خلال تلكم الأدعية المباركة نستطيع أن نستنبط بعض وسائل التعظيم لشعائر الله تعالى، وذلك من خلال النقاط التالية:

١ ـ دعاء إبراهيم لها بالأمن:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

وهذا الأمن له أهميته الكبرى في تعظيم الناس للمكان، وقد تبين أن حادثة الفيل كان لها الأثر الكبير في تعظيم الناس للكعبة ولمكة.

قال ابن إسحاق: «فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة أعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم. فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم»[(١)].

وقال ابن فارس: «ازداد تعظيم العرب لبيت الله الحرام الذي تكفل بحفظه وحمايته من عبث المفسدين، وكيد الكائدين»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]. أي: «يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار، ولهذا كانوا في الجاهلية ـ على شركهم ـ يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام، زاده حرمة وتعظيماً، وتشريفاً وتكريماً»[(٣)].

٢ ـ دعاء إبراهيم لأهلها المؤمنين برغد العيش:

قال تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

فنعمة الرزق تجعل الناس كذلك تعظم المكان لأنهم لو علموا بأنهم سيواجهون الصعوبات في طلب الرزق هناك ما اشتاقت نفوسهم إلى هذا المكان ومع الوقت يقل تعظيمهم للمكان بسبب قلة موارده المالية.

وقد استجاب الله كذلك دعاء إبراهيم عليه السلام فنجد ولله الحمد والمنة أن مكة وبلاد الحجاز عموماً مليئة بخيرات الله التي تأتي من كل مكان.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٥.

٣ ـ دعاء إبراهيم لها بالتوحيد:

قال تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾.

فالتوحيد هو من أعظم ما تعظم به شعائر الله تعالى، فلا تعظيم من غير توحيد، ولا توحيد كامل من غير تعظيم لله وشرائعه وشعائره.

ولذلك نجد أن الله تعالى طهر هذه البقعة من الأصنام والشرك بالله على يد رسوله ﷺ وتلك الثلة من المؤمنين الذين صبروا وصابروا ورابطوا حتى أنجز الله لهم ما ضحوا من أجله وهو إزالة الشرك وغرس التوحيد.

حتى عندما بدأت الشركيات والأعمال المخالفة للتوحيد بالبلد الحرام في فترة ضعف فيها التزام الناس بالدين ـ مَكَّنَ الله تعالى لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتعاون مع بعض حكام الجزيرة فَوَحَّدوا تلك البلاد على التوحيد دينياً وسياسياً، فإلى وقتنا الحالي لا ترى مظاهر الشرك علناً في البلد الحرام وإن كان يقع من بعض الحجاج والزوار هداهم الله ما يخالف هدي الأنبياء عليهم الصلاة السلام ولله الحمد والمنة.

٤ ـ دعاء إبراهيم لها بجعل أفئدة المسلمين فقط تتوق لها:

قال تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، «أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه»[(١)].

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير ﷺ: لو قال: «أفئدة الناس» لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: ﴿أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاختص به المسلمون[(٢)].

وقد استجاب الله تعالى دعاء أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وجعل هذا المكان بشعائره وما يكون فيه من شرائع معظمة فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة: ١٢٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٤٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٥١٤.

«قال ابن عباس ﷺ: لا يقضون منه وطراً، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه، وقال عبدة بن أبي لبابة: قال: لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً، قال ابن زيد: «يثوبون إليه من البُلْدان كلها ويأتونه»[(١)].

وقال السعدي: «أي: مرجعاً يثوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطراً»[(٢)].

(١) جامع البيان ٢/٢٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٥.

المبحث الثالث

تعظيم الحجاج والمعتمرين وغيرهم لكل شعائر الله

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة].

في هاتان الآيتان أمر الله تعالى بتعظيم جملة من شعائره «وأقرب ما يتجه إليه الذهن في معنى ﴿شَعَآئِرَ ٱللَّهِ﴾ في هذا المقام: أنها شعائر الحج والعمرة وما تتضمنه من محرمات على المحرم للحج أو العمرة حتى ينتهي حجه بنحر الهدي الذي ساقه إلى البيت الحرام؛ فلا يستحلها المحرم في فترة إحرامه؛ لأن استحلالها فيه استهانة بحِرمة الله الذي شرع هذه الشعائر. وقد نسبها إلى الله تعظيماً لها، وتحذيراً من استحلالها»[1].

قال السعدي: «قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أي: محرماته التي أمركم بتعظيمها، وعدم فعلها، والنهي يشمل النهي عن

(١) في ظلال القرآن ٢٠٨/٢ بتصرف يسير.

فعلها، والنهي عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي عن فعل القبيح، وعن اعتقاده»[1].

وبيان الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها يمكن عرضها في المطالب التالية:

❋ ❋ ❋

المطلب الأول
تعظيم شعائر الله بتحريم الصيد أثناء الإحرام

قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾، وقال في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۖ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة].

فهذا ابتلاء من الله تعالى للمحرمين كما ابتلاهم بغيرها من محظورات الإحرام، فتعظيم هذه النواهي من شعائر الله تعالى.

قال السعدي: «لما كانت إباحة بهيمة الأنعام عامة في جميع الأحوال والأوقات، استثنى منها الصيد في حال الإحرام فقال: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام في كل حال، إلا حيث كنتم متصفين بأنكم ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، أي: متجرئون على قتله في حال الإحرام، وفي الحرم، فإن ذلك لا يحل لكم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، أي: فمهما أراده تعالى حكم به حكماً موافقاً لحكمته، كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم ودفع المضار عنكم.

وأحل لكم بهيمة الأنعام رحمة بكم، وحرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صوناً لكم واحتراماً، ومن صيد الإحرام احتراماً للإحرام وإعظاماً»[1].

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
تعظيم شعائر الله بترك القتال في الأشهر الحرم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

فقوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾، «أي: لا تنتهكوه بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم»[2].

وقال في موضع آخر: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ [التوبة: ٥].

فنهى عن قتالهم في الأشهر الحرم، وأباح ذلك بعد الأشهر الحرم.

وقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فعظمة القتال في الشهر الحرام وقرنه بالصد عن سبيل الله تعالى، والصد عن المسجد الحرام.

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.

﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤].

قال السعدي: «الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا. وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق محمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقاً؛ ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم بل أكبر مزاياها تحريم القتال فيها. وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام»[(١)].

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث
تعظيم الهدي الذي يهدى إلى بيت الله في حج أو عمرة

وتعظيم الهدي بأمرين:

أولاً: بعدم الاعتداء عليه:

فقوله في آية سورة المائدة: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ قال أبو جعفر: أما الهدي فهو: ما أهداه المرء من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، إلى بيت الله، تقرُّباً به إلى الله، وطلبَ ثوابه»[(٢)].

أي: «ولا تحلوا الهدي الذي يهدى إلى بيت الله في حج أو عمرة، أو غيرهما، من نَعَم وغيرها، فلا تصدوه عن الوصول إلى محله، ولا تأخذوه بسرقة أو غيرها، ولا تقصروا به، أو تحملوه ما لا يطيق، خوفاً من تلفه قبل وصوله إلى محله، بل عظموه وعظموا من جاء به»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٧.
(٢) جامع البيان ٤٦٦/٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.

وقوله: ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ «هذا نوع خاص من أنواع الهدي، وهو الهدي الذي يفتل له قلائد أو عرى، فيجعل في أعناقه إظهاراً لشعائر الله، وحملاً للناس على الاقتداء، وتعليماً لهم للسنّة، وليعرف أنه هدي فيحترم، ولهذا كان تقليد الهدي من السنن والشعائر المسنونة»[(١)].

ثانياً: من تعظيم شعائر الله في الهدي طلب الأجود والأفضل:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج].

فالآية تشير إلى اختيار الأفضل في الهدي فعن ابن عباس ﷺ قال: «استعظامها: الاستسمان والاستحسان»[(٢)].

وفي الآية: «ربط بين الهدي الذي ينحره الحاج وتقوى القلوب؛ إذ أن التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره، وهذه المناسك والشعائر إن هي إلا رموز عن التوجه إلى رب البيت وطاعته، وتحمل في طياتها ذكريات قديمة من عهد إبراهيم عليه السلام وما تلاه، وهي ذكريات الطاعة والإنابة والتوجه إلى الله منذ نشأة هذه الأمة المسلمة، فهي والدعاء والصلاة سواء»[(٣)].

فالواجب في مثل تلك الطاعات أن تكون على وجه من الكمال المقبول الطيب، فقد ورد في الحديث: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**»[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٢١.
(٣) في ظلال القرآن ٥/١٩٥.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥).

قال أبو أمامة بن سهل ﷺ: «كنا نسمن الأضحية بالمدينة، وكان المسلمون يُسمّنون»[(١)].

وعن أنس بن مالك ﷺ: «أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين»[(٢)].

وعن البراء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البيّن عَوَرها، والمريضة البين مَرَضها، والعرجاء البين ظَلَعها؛ والكسيرة التي لا تُنقِي**»[(٣)].

قال ابن كثير: «وهذه العيوب تنقص اللحم، لضعفها وعجزها عن استكمال الرعي؛ لأن الشاء يسبقونها إلى المرعى، فلهذا لا تجزئ التضحية بها عند الشافعي وغيره من الأئمة، كما هو ظاهر الحديث»[(٤)].

❋ ❋ ❋

المطلب الرابع
من تعظيم شعائر الله تعالى أن تؤدى حقوق هذه الشعائر

من الحقوق التي لا بد من أدائها تجاه هذه الشعائر:

أولاً: حق العبادة:

فحق هذه المشاعر التعظيم واستشمار الوقت فيها في الذكر والعبادة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الأضاحي تحت باب في أضحية النبي ﷺ بكبشين أقرنين.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب في أضحية النبي ﷺ بكبشين أقرنين (٥٥٥٣).

(٣) مسند أحمد ٤/٢٨٤ (١٨٥٣٣) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٣٣.

وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**»(١).

وقال ﷺ عن أيام منى: «..**وإن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر لله**»(٢).

ثانياً: حق إخلاص العبادة فيها لله وحده لا شريك له:

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

فالله تعالى أمر أن يكون الحج خالصاً له سبحانه ولا يشوبه رياء ولا سمعة ولا طلب جاه أو أي أمر من أمور الدنيا، ولا يكون فيه شيء من الشرك كالذبح والدعاء لغير الله تعالى.

ثالثاً: حق الأدب عند الدخول في هذه المناسك:

أي: الدخول في المناسك والشعائر بانكسار وخشوع وهيبة وبسكينة، قال الله تعالى ضمن آيات الحج: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مسند أحمد ٧٦/٥ (٢٠٧٤٨) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج].

«﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خوفاً وتعظيماً، فتركوا لذلك المحرمات؛ لخوفهم ووجلهم من الله وحده»[1].

وقد دخل النبي ﷺ يوم فتح مكة ـ وهي يوم أعز الله فيه أهل دينه ـ دخل صلوات الله وسلامه عليه مطأطئاً رأسه ذلة لله وخشية وتواضعاً.

وقد كان النبي ﷺ يأمر الصحابة عند النفرة من عرفات بسكينة فكان يقول: «**أيها الناس السكينة، السكينة**» كما ثبت ذلك في حديث جابر المتقدم، فينبغي الإخبات ووجل القلوب عند حضور تلك المناسك.

❋ ❋ ❋

المطلب الخامس
أن يعلم المحرم والداخل لمكة أنه في أمان الله فلا يتعرض لسخطه

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

قال الشيخ الشنقيطي: «والمراد بالإلحاد في الآية: أن يميل، ويحيد عن دين الله الذي شرعه، ويعم ذلك كل ميل وحيدة عن الدين، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً الكفر بالله، والشرك به في الحرم، وفعل شيء مما حرمه

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٨.

وترك شيء مما أوجبه. ومن أعظم ذلك: انتهاك حرمات الحرم. وقال بعض أهل العلم: يدخل في ذلك احتكار الطعام بمكة.

والذي يظهر: أن كل مخالفة بترك واجب، أو فعل محرم تدخل في الظلم المذكور»[(١)].

فالذي يجلب سخط الله تعالى هو الاعتداء على حرمات الله تعالى من فعل أمر من الأمور التي نهى عنها الله في كتابه كما في الآيات أو نهى النبي ﷺ عنها كما في حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**حرم الله مكة فلم تحل لأحدٍ قبلي ولا تحل لأحد بعدي أحلت لي ساعةً من نهار لا يختلى[(٢)] خلاها[(٣)]، ولا يعضد[(٤)] شجرها، ولا ينفر[(٥)] صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمعرفٍ**». قال عكرمة: هل تدري ما ينفر صيدها؟ هو أن ينحيه من الظل وينزل مكانه»[(٦)]، فالحيوان والنبات يشتركون في ذلك الأمن.

❋ ❋ ❋

المطلب السادس
تعظيم شعائر الله تعالى
بإقامة العبادات فيها على الوجه المشروع

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [الحج: ١٩٦].

والنبي ﷺ أمر أصحابه أن يَتَّبِعُوه في كل ما يفعل من أعمال الحج

---

(١) أضواء البيان ٤/٢٩٤.
(٢) يُخْتَلى: يُقْطَع.
(٣) الخلا مَقْصُور: النَّبات الرَّطْب الرَّقيق ما دَام رَطْباً.
(٤) يعضد: يقطع.
(٥) ينفر: يُهيج ويُروع ويُفزع.
(٦) الجمع بين الصحيحين للحميدي ٢/١٥ برقم (٩٩٧).

فعن جابر ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**»[(١)].

قال أبو جعفر: «اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال بعضهم: معنى ذلك أتِمّوا الحج بمناسكه وسُنِنه، وأتموا العُمْرة بحدودها وسُنَنِها، وقال آخرون: تمامُهما أن تُحرِم بهما مفردين من دُوَيْرة أهلِك. وقال آخرون: تمام العمرة أن تعمل في غير أشهر الحج، وتمام الحج أن يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دمٌ بسبب قران ولا متعة. وقال آخرون: أن تخرج من أهلك لا تريد غيرها. وقال آخرون: أقيموا الحج والعمرة، وقال آخرون: أتموا الحجة والعمرة لله إذا دخلتم فيها»[(٢)].

وقال العز بن عبدالسلام: «وإتمام الحج الإتيان بمناسكه بحيث لا يلزمه دم جبران نقص»[(٣)].

ومن إقامتها على الوجه المشروع إتمامها بعد الشروع فيها، قال الشيخ الأمين: «دلت على وجوب إتمامه بعد الشروع فيه»[(٤)].

وكل ما ذكره العلماء في معنى إتمام الحج والعمرة لله هو من باب تعظيم حرمات الله تعالى، فالإخلاص فيها وإكمالها بعد الشروع فيها وإتمامها على الوجه المشروع، وإقامتها، بل والشروع فيها كل ذلك تعظيم لها.

وقد ذم الله تعالى المشركين على أنهم لم يقيموا عبادة الحج كما يريد الله تعالى قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال].

وقد كان المشركون كذلك يحجون بطريقة غير شرعية تتسم بالشرك

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ لتأخذوا مناسككم (١٢٩٧).
(٢) جامع البيان ٣/٧.
(٣) تفسير ابن عبدالسلام ١/١٦٣.
(٤) أضواء البيان ٤/٣٤٠.

والطبقية والعنصرية، وقد مر بنا أن الحج في الإسلام خالف كل الأعمال الباطلة التي كان يفعلها المشركون ظناً منهم أنهم يتقربون بها إلى الله وفي الحقيقة هم يتقربون بها إلى أهليهم.

❋ ❋ ❋

المطلب السابع
التعقيبات القرآنية على محظورات الإحرام ودورها في التعظيم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩٦ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٩٧﴾ [المائدة].

فلقد بيّن الله تعالى أمر شعائره في الإحرام وختمها بثلاثة تعقيبات:

التعقيب الأول: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾:

بعد أن بين الله تعالى أنه يبتلي المحرمين بأنه سيبتليهم بشيء من الصيد وعليهم ألا ينتهكوا حرمة إحرامهم الذي هو شعيرة من شعائره نبه على الذين لا يلتزمون ولا يعظمون شرائعه بقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، أي: «﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ منكم ﴿بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ البيان، الذي قطع الحجج، وأوضح السبيل. ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، أي: مؤلم موجع، لا يقدر على وصفه إلا الله، لأنه لا عذر لذلك المعتدي، والاعتبار بمن يخافه

بالغيب، وعدم حضور الناس عنده. وأما إظهار مخافة الله عند الناس، فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس، فلا يثاب على ذلك»[1].

فهذا «تصريح بالتحذير أي بعدما قدّمناه إليكم وأعذرنا لكم فيه، والمراد بالاعتداء الاعتداء بالصيد، وسمّاه اعتداء لأنّه إقدام على محرّم وانتهاك لحرمة الإحرام أو الحرم.

وقوله: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: عقاب شديد في الآخرة بما اجترأ على الحرم أو على الإحرام أو كليهما، وبما خالف إنذار الله تعالى، وهذا إذا اعتدى ولم يتدارك اعتداءه بالتوبة أو الكفارة، فالتوبة معلومة من أصول الإسلام، والكفارة هي جزاء الصيد»[2]. «فقد أَخْبَرَ بالابتلاء، وعَرّفَ حكمة تعرضه له، وحذَّر من الوقوع فيه؛ وبذلت له كل أسباب النجاح فيه. فإذا هو اعتدى ـ بعد ذلك ـ كان العذاب الأليم جزاء حقاً وعدلاً؛ وقد اختار بنفسه هذا الجزاء واستحقه فعلاً»[3].

التعقيب الثاني: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾:

بعد أن بيَّن الله تعالى الحكم في من قتل الصيد وهو محرم وما عليه من الكفارة لأنه انتهك شعيرة من شرائع الله تعالى قال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، أي: «﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ﴾، أي: «في زمان الجاهلية، لمن أحسن في الإسلام واتبع شرع الله، ولم يرتكب المعصية.

ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، أي: ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه فينتقم الله منه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾»[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢٤٣.
(٢) التحرير والتنوير ٤/٣٧٠.
(٣) في ظلال القرآن ٢/٤٣٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/١٩٥.

أي: «﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى المخالفة متعمداً بعد التحريم، فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه. والله تعالى عزيز قويٌّ منيع في سلطانه، ومِن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع»[(١)].

«ففي الكفارة معنى العقوبة، لأن الذنب هنا مخل بحرمة يشدد فيها الإسلام تشديداً كبيراً، لذلك يعقب عليها بالعفو عما سلف والتهديد بانتقام الله ممن لا يكف. فإذا اعتز قاتل الصيد بقوته وقدرته على نيل هذا الصيد، الذي أراد الله له الأمان في مثابة الأمان، فالله هو العزيز القوي القادر على الانتقام!»[(٢)].

التعقيب الثالث: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾:

أيضاً ينبه الله تعالى في سياق الأمر بتعظيم شعائره بالحج بما هو واجب على المحرمين أثناء إحرامهم وبما هو حلال لهم ثم قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

أي: «واخشوا الله ونفذوا جميع أوامِره، واجتنبوا جميع نواهيه؛ حتى تظفَروا بعظيم ثوابه، وتَسْلموا من أليم عقابه عندما تحشرون للحساب والجزاء»[(٣)].

وفي هذا «تشديدٌ وتنبيهٌ عقب هذا التحليل والتحريم، ثم ذَكَر بأمر الحشر والقيامة مبالغة في التحذير»[(٤)]، «والمقصود منه: التهديد، ليكون المرء مواظباً على الطاعة محترزاً عن المعصية»[(٥)].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) التفسير الميسر ٢/٢٦٩.
(٢) في ظلال القرآن ٢/٤٣٧.
(٣) التفسير الميسر ٢/٢٧٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦/٣٤٢.
(٥) تفسير الرازي ١٢/٣٨.

الفصل الثالث
التربية الإيمانية في الحج

تمهيد:

زيادة الإيمان مقصد أساسي من مقاصد الحج، ولكي يزيد هذا الإيمان لا بد من البيان لما يزيد الإيمان في هذه الشعيرة والركن الخامس من أركان الإسلام.

وسيكون ذلك وفق المباحث التالية:

المبحث الأول: التربية على تقوى الله تعالى:

المطلب الأول: التزام التقوى في نية وأعمال الحج.

المطلب الثاني: التقوى في السفر للحج وأنها خير زاد.

المطلب الثالث: تقوى الله تعالى تزيد الأعمال الصالحة في الحج وتحفظها.

المطلب الرابع: تقوى الله تعالى ثمرة لتوحيده سبحانه في الذبح.

المطلب الخامس: التزام التقوى في كل أوامر الحج والحذر من عقاب الله.

المطلب السادس: تقوى الله تعالى في تعظيم شعائر الله.

المطلب السابع: ثمرات التزام تقوى الله.

المبحث الثاني: التربية على ذكر الله.

المبحث الثالث: التربية على الدعاء:

المطلب الأول: أفضل الدعاء في الحج.

المطلب الثاني: رحلة الحج والأدعية فيها.

المبحث الرابع: التربية على التوبة والاستغفار.

المبحث الخامس: الحج والتربية على التوكل على الله.

المبحث السادس: التربية على التقرب إلى الله بالطواف والاعتكاف والصلاة.

المبحث السابع: التربية على شكر الله تعالى:

المطلب الأول: التربية على شكر الله بعرض شكر الله للعبد.

المطلب الثاني: التربية على شكر الله بالإشارة إليها ضمن أعمال الحج.

المطلب الثالث: التربية على الشكر ببيان أن الله تعالى غني عن الشكر.

المبحث الثامن: التربية على طلب الهداية من الله.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الأول
التربية على تقوى الله تعالى

تمهيد عن التقوى:

لقد ورد ذكر التقوى في آيات الحج عدة مرات، وارتباط التقوى بالحج واضح وجلي، ولعل هذا يدل على أن الغاية من الحج تحقيق التقوى. وتقوى الله ﷻ الأساس الذي يدعونا للقيام بكل تعاليم الشارع الحكيم في الحج مما نبه الله ورسوله عليه، فإذا قام الحج على تقوى الله أثمر زيادة ويقيناً في التقوى والإيمان، فكأن التقوى سبب وغاية في الحج.

والتقوى لغة: الصيانة والحذر والحماية والحفظ[(١)].

واصطلاحاً: ورد في معنى التقوى للعلماء أقوال كثيرة ومن أشهرها:

قولهم: «أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي»[(٢)].

وقيل: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

---

(١) لسان العرب مادة (وقي) ٤٠١/١٥.
(٢) المحرر الوجيز ١٤٤/١.

وقيل: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

وكل هذه الأقوال في معنى واحد، وهو: طاعة الله، واجتناب معصية الله، على نور من الله، مع مراقبة الله.

وقد بيَّن الله تعالى في كتابه ضمن آيات الحج وغيرها مظاهر كثيرة للتقوى تبين أهمية التزامها في كل حركة وفي كل عمل يُعمل في الحج. ويمكن بيان تلك المظاهر في المطالب التالية:

❋ ❋ ❋

المطلب الأول
التزام التقوى في نية وأعمال الحج

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]، فصفة السمع والبصر التي دعا بها إبراهيم عليه السلام تدل على مراقبته لله تعالى، وأن الحج يجب أن يكون لله ولا يعلم ما في القلب إلا الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة].

عن البراء رضي الله عنه قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتَوْا البيت من ظهره، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾»[2].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص١٤٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥١٢).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: «افعلوا ما أمركم به، واتركوا ما نهاكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غداً إذا وقفتم بين يديه، فيجزيكم بأعمالكم على التمام، والكمال»[(١)].

قال السعدي: «﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ هذا هو البر الذي أمر الله به، وهو لزوم تقواه على الدوام، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه سبب للفلاح، الذي هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فمن لم يتق الله تعالى، لم يكن له سبيل إلى الفلاح، ومن اتقاه، فاز بالفلاح والنجاح»[(٢)].

«فالبر هو التقوى. هو الشعور بالله ورقابته في السر والعلن. وليس شكلية من الشكليات التي لا ترمز إلى شيء من حقيقة الإيمان. ولا تعني أكثر من عادة جاهلية.

كذلك أمرهم بأن يأتوا البيوت من أبوابها. وكرر الإشارة إلى التقوى، بوصفها سبيل الفلاح: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وبهذا ربط القلوب بحقيقة إيمانية أصيلة ـ هي التقوى ـ وربط هذه الحقيقة برجاء الفلاح المطلق في الدنيا والآخرة؛ وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الإيماني، ووجه المؤمنين إلى إدراك نعمة الله عليهم في الأهلة التي جعلها الله مواقيت للناس والحج.. كل ذلك في آية واحدة قصيرة»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ «واخشوا الله تعالى في كل أموركم، لتفوزوا بكل ما تحبون من خيري الدنيا والآخرة»[(٤)].

«أي لتفوزوا بالخير في الدين والدنيا كقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٢٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٨.
(٣) في ظلال القرآن ١/١٥٨.
(٤) التفسير الميسر ١/٢٠٣.

أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق]. وتمام التحقيق في الآية: أن من رجع خائباً يقال: ما أفلح وما أنجح، فيجوز أن يكون الفلاح المذكور في الآية هو: أن الواجب عليكم أن تتقوا الله حتى تصيروا مفلحين منجحين»[(١)].

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
التقوى في السفر للحج وأنها خير زاد

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

«أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود: فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم؛ سؤالاً واستشرافاً. وفي الإكثار منه: نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين. وهذا الزاد ـ الذي المراد منه إقامة البنية ـ بُلْغَة ومتاع.

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه؛ في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى؛ الذي هو زاد إلى دار القرار. وهو الموصل لأكمل لذة، وأَجَلِّ نعيم دائم أبداً. ومن ترك هذا الزاد؛ فهو المنقطع الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى.

قال ابن حجر: «ترك السؤال من التقوى والله مدح من لم يسأل الناس إلحافاً فإن قوله فإن خير الزاد التقوى، أي: تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك»[(٢)].

---

(١) تفسير الرازي ١٠٧/٥.
(٢) فتح الباري ١٦١/٥.

ولقد أمرنا رسول الله ﷺ بدعاء السفر والذي فيه: «**اللَّهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى**»[(١)].

ثم أمر بها أولي الألباب فقال: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: «واتقوا عقابي، ونكالي، وعذابي، لمن خالفني ولم يأتمر بأمري، يا ذوي العقول والأفهام»[(٢)].

أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي»[(٣)].

فقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ «مشير إلى أن التوقي مما يرغب فيه أهل العقول»[(٤)]، والمعنى: «وخافوني يا أصحاب العقول السليمة»[(٥)].

وخص أولي الألباب بالخطاب ـ وإن كان الأمر يعم الكل ـ لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قَابِلوا أوامره، والناهضون بها»[(٦)].

فإن «التقوى: زاد القلوب والأرواح، منه تقتات، وبه تتقوى وتَرِفُ وتشرق، وعليه تستند في الوصول والنجاة. وأولوا الألباب هم أول من يدرك التوجيه إلى التقوى، وخير من ينتفع بهذا الزاد»[(٧)].

❋ ❋ ❋

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (١٣٤٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٤٩/١.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩١.
(٤) التحرير والتنوير ٢٧٥/٢.
(٥) التفسير الميسر ٢١٢/١.
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٤١٢/٢.
(٧) في ظلال القرآن ١٧٣/١.

المطلب الثالث
تقوى الله تعالى تزيد الأعمال الصالحة في الحج وتحفظها

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة].

قال السعدي: «يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافاً لله فيها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: خرج من مِنى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بأن بات بها ليلة الثالث ورمى من الغد ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾.

وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده، في إباحة كلا الأمرين. ومن المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين؛ فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ أي: اتقى الله في جميع أموره، وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه في شيء دون شيء، كان الجزاء من جنس العمل»[1].

قال الواحدي: «طرح المأثم يكون لمن اتقى في حجه تضييع شيء مما حده الله تعالى»[2].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتقاه، وجد جزاء التقوى عنده، ومن لم يتقه، عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله،

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٣.
(٢) الوجيز للواحدي ١/١٥٨.

فلهذا حثَّ تعالى على العلم بذلك»[1].

«﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وصية جامعة للراجعين من الحج أن يراقبوا تقوى الله في سائر أحوالهم وأماكنهم ولا يجعلوا تقواه خاصة بمدة الحج كما كانت تفعله الجاهلية فإذا انقضى الحج رجعوا يتقاتلون ويغيرون ويفسدون، وكما يفعله كثير من عصاة المسلمين عند انقضاء رمضان»[2].

❋ ❋ ❋

المطلب الرابع
تقوى الله تعالى ثمرة لتوحيده سبحانه في الذبح

قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾ [الحج].

قال ابن كثير: «إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا، لتذكروه عند ذبحها، فإنه الخالق الرازق لا أنه يناله شيء من لحومها ولا دمائها، فإنه تعالى هو الغني عما سواه.

كما جاء في الصحيح: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[3]»[4].

قال الألوسي: «﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾، أي: لن يصيب رضا الله تعالى اللحوم المتصدق بها، ولا الدماء المهراقة بالنحر؛ من حيث

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢/٢٨٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٣١.

أنها: لحوم ودماء. ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ﴾ ولكن يصيبه ما يصحب ذلك من تقوى قلوبكم، التي تدعوكم إلى تعظيمه تعالى، والتقرب له سبحانه، والإخلاص له ﷻ»[(١)].

يقول السعدي: «ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحرّ، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخراً ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه»[(٢)].

❋ ❋ ❋

المطلب الخامس
التزام التقوى في كل أوامر الحج والحذر من عقاب الله

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ . . .﴾ إلى أن ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة].

فقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: «فيما أمركم وما نهاكم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: لمن خالف أمره، وارتكب ما عنه زجره»[(٣)].

«وهذه الأحكام ضمان القيام بها هو هذه التقوى، وهي مخافة الله وخشية عقابه. والإحرام يصاحبه تحرج. فإذا أباح لهم الإحلال فترة أقام تقوى الله وخشيته في الضمير، تستجيش فيه هذا التحرج، وتقوم بالحراسة في انتباه»[(٤)].

---

(١) روح المعاني ١٥٨/١٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٤٠/١.
(٤) في ظلال القرآن ١٧٢/١.

«وصاية بالتقوى بعد بيان الأحكام التي ـ لا تخلو عن مشقة ـ للتحذير من التهاون بها، فالأمر بالتقوى عام، وكون الحج من جملة ذلك هو من جملة العموم وهو أجدر أفراد العموم، لأن الكلام فيه»[(١)].

وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: «وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب ما عنه زجر»[(٢)].

«﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما فرضه عليكم. وقيل: هو أمر بالتقوى على العموم، وتحذير من شدة عقابه»[(٣)].

«﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب العقاب، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب، وأما من لم يخف العقاب، ولم يرج الثواب، اقتحم المحارم، وتجرأ على ترك الواجبات»[(٤)].

قال أبو حيان: «فلما تقدم: أمرٌ، ونهيٌ، وواجبٌ، ناسب أن يختم ذلك بالأمر بالتقوى في أن لا يتعدى ما حدّه الله تعالى. ثم أكد الأمر بتحصيل التقوى بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، لأن من علم شدة العقاب على المخالفة؛ كان حريصاً على تحصيل التقوى، إذ بها يأمن من العقاب»[(٥)].

قال البقاعي: «ولما كان امتثال ما ليس بمعقول المعنى من عند قوله: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ شديداً على النفس مع جماحها عن جميع الأوامر ناسب اقترانه بالتهديد فكان ختامه بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فافعلوا جميع

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٢٧٠.
(٢) التفسير الميسر ١/٢١٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٠٤.
(٤) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٠.
(٥) البحر المحيط ٢/٤٧.

ذلك واحملوا أنفسكم على التحري فيه والوقوف عند حدوده ظاهراً وباطناً ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: اجعلوا بينكم وبين غضب هذا الملك الأعظم وقاية. وأكد تعظيم المقام بالأمر بالعلم فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ تنبيهاً على أن الباعث على المخافة إنما هو العلم، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي لا يداني عظمته شيء ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ وهو الإيلام الذي يتعقب به جرم سابق»[1].

❋ ❋ ❋

المطلب السادس
تقوى الله تعالى في تعظيم شعائر الله

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج].

قال ابن عاشور: «وإضافة تقوى إلى القلوب لأنّ تعظيم الشعائر اعتقاد قلبي ينشأ عنه العمل»[2].

قال السعدي: «فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله»[3].

قال سيد: «ويربط بين الهدي الذي ينحره الحاج وتقوى القلوب؛ إذ

---

(١) نظم الدرر ١/٢٧٢.
(٢) التحرير والتنوير ٩/٣٤٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٨.

أن التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره. وهذه المناسك والشعائر إن هي إلا تعبير عن التوجه إلى رب البيت وطاعته»[1].

ويمكن إبراز جانب التقوى في تعظيم شعائر الله في الحج في النقاط التالية:

أولاً: التقوى في التزام عدم القتال في الأشهر الحرم إلا رداً للاعتداء:

قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة]. أي: «واتقوا الله في حرماته في غير أحوال الاضطرار، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فهو يجعلهم بمحل عنايته»[2].

«ولما كانت النفوس ـ في الغالب ـ لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق.

ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد»[3].

ثانياً: التزام التقوى في عدم إحلال شعائر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟

---

(١) في ظلال القرآن ٥/١٩٥.
(٢) التحرير والتنوير ٢/٢٥٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٩.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة].

«أي: محرماته التي أمركم بتعظيمها، وعدم فعلها، والنهي يشمل النهي عن فعلها، والنهي عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي، عن فعل القبيح، وعن اعتقاده، ويدخل في ذلك النهي عن محرمات الإحرام، ومحرمات الحرم.

ثم ختم الله الآية بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ على من عصاه وتجرأ على محارمه، فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل»[1].

ثالثاً: التزام تقوى الله في تحريم الصيد حال الإحرام:

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩٦﴾ [المائدة]. «أي: اتقوه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، واستعينوا على تقواه بعلمكم أنكم إليه تحشرون. فيجازيكم، هل قمتم بتقواه فيثيبكم الثواب الجزيل، أم لم تقوموا بها فيعاقبكم؟»[2].

❋ ❋ ❋

المطلب السابع
ثمرات التزام تقوى الله

تقوى الله تعالى لها ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، وهذه الثمرات تظهر على الأفراد، ومن ثمَّ على الجماعة المسلمة التي تسعى لتحكيم شرع الله والتمكين لدينه. إن تقوى الله تعالى تجعل بين العبد وبين ما

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢١٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٢٤٤.

يخشاه من ربه ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك.

ويمكن بيان ثمرات التقوى التي يخرج بها الحجاج من حجهم لو التزموا تلك التقوى في النقاط التالية:

أولاً: ثمرات في علاقة الله بعبده:

١ ـ محبة الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. قال ابن عاشور: «تذييل في معنى التعليل للأمر. بإتمام العهد إلى الأجل بأن ذلك من التقوى، أي: من امتثال الشرع الذي أمر الله به، لأن الأخبار بمحبة الله المتقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى»[(١)].

٢ ـ ولاية الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

قال الشنقيطي: «ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه ولي المتقين، وهم الذين يمتثلون أمره ويجتنبون نهيه. وذكر في موضع آخر أن المتقين أولياؤه فهو وليهم وهم أولياؤه لأنهم يوالونه بالطاعة والإيمان، وهو يواليهم بالرحمة والجزاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]»[(٢)].

٣ ـ معية الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]. أي: «والله مع المتقين المحسنين، بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/١٠.

(٢) أضواء البيان ٢٠١/٧.

الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه»[1].

٤ ـ هداية الله:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة].

«الهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، وقال ﴿هُدًى﴾ وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم.

فالقرآن في نفسه هدى لجميع الخلق. فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما بقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع»[2].

ثانياً: ثمرات في الدنيا:

١ ـ العلم:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي: «اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم محيط

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٤٥٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٤٠.

بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن تبع شرعه، وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير»[1].

٢ ـ إطلاق نور البصيرة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال].

يقول الدكتور على الصلابي: «إن تقوى الله تعالى في الأمور كلها تعطي صاحبها نوراً يفرق به بين الحق والباطل، وبين دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس، وعندما تسيطر تقوى الله على الصف المسلم يصبح يتحرك بفرقان رباني»[2].

٣ ـ البركة في الرزق:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ أي: القرى المهلكة ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي: بالله ورسله ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ أي: الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض»[3].

٤ ـ النجاة من إغواء الشيطان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف].

---

(١) تفسير المنار ١٢٨/٣.

(٢) فقه النصر والتمكين في القرآن، ص٢٤١.

(٣) محاسن التأويل ٢٢١/٧.

قال سيد: «تكشف هذه الآية القصيرة عن إيحاءات عجيبة، وحقائق عميقة، يتضمنها القرآن المعجز الجميل.. إن اختتام الآية بقوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ليضيف معاني كثيرة إلى صدر الآية. ليس لها ألفاظ تقابلها هناك.. إنه يفيد أن مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة. ولكن تقوى الله ومراقبته وخشية غضبه وعقابه.. تلك الوشيجة التي تصل القلوب بالله وتوقظها من الغفلة عن هداه.. تذكر المتقين. فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم؛ وتكشفت الغشاوة عن عيونهم: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.. إن مس الشيطان عمى، وإن تذكر الله إبصار.. إن مس الشيطان ظلمة، وإن الاتجاه إلى الله نور.. إن مس الشيطان تجلوه التقوى، فما للشيطان على المتقين من سلطان»[1].

٥ ـ البشرى:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

«يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه ووصفهم بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

وجزاء ذلك الإيمان وتلك التقوى أن ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما في الآخرة، فأولها: البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت]، وفي

(١) في ظلال القرآن ٣/٣٤٧.

القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم»[1].

٦ ـ حفظ الذرية:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء].

«وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذي يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناؤهم ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، ويكون في إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف»[2].

٧ ـ تيسير الأمور:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، «واليسر في الأمر غاية ما يرجوه الإنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده؛ فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيق يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره، وينالها بيسر في حركته وعمله، ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رَخِيّ نَدِيّ حتى يلقى الله»[3].

٨ ـ الأمن من مكر العدو:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. قال ابن كثير: «يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم،

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٣٨٦ بتصرف يسير.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٨٢/٤.
(٣) في ظلال القرآن ٣٦٠٢/٦.

فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[(١)]، إنه تعليم من الله تعالى للمسلمين في كيفية الاستعانة على أعداء الله وكيدهم.

٩ ـ الخروج من الغم:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق].

قال شيخ الإسلام: «فقد بين الله تعالى في الآية أن المتقي يدفع الله عنه المضرة، بما يجعله له من المخرج، ويجلب له من المنفعة»[(٢)].

قال السعدي: «ومن جملة ثواب المتقي لله تعالى أن يجعل له فرجاً ومخرجاً من كل شدة ومشقة، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجاً ومخرجاً، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها»[(٣)].

«فحينما تضيق الأمور وتستحكم الحلقات وتُسد المنافذ وتُنصب العقبات ويقنط الإنسان، تأتي التقوى فيتسع بها الضيق وتحل بها العقد وتفتح بها المسالك وتذل بها الصعاب والعقبات. فمن يتقِ الله عند نزول المصيبة فيوحده ويصبر لحكمه ويرضى بقضائه ويثبت على مبدئه واستقامته،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٢٩.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٥٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٦٩.

يجعل الله له مخرجاً منها، ويبدل ضيقه فرجاً وخوفه أمناً وعسره يسراً»[(١)].

ثالثاً: ثمرات في الآخرة:

١ ـ مغفرة الذنوب، وزيادة الأجر عليها:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]. قال ابن كثير: «أي: يذهب عنهم المحظور، ويجزل لهم الثواب على العمل اليسير»[(٢)].

٢ ـ نفع الخلق والصحبة يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

أي: «المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدوّ، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالّوا فيها على تقوى الله»[(٣)].

«في هذه الآية الكريمة موقف من مواقف القيامة حيث إن الأخلاء والأصدقاء الذين لا يتصفون بصفات المتقين المبينة في الآيات الكريمة المختلفة سيصبحون أعداء لبعضهم لأن صداقتهم لم تكن لوجه الله ولم يكونوا يتقون الله في بعضهم ولا يخشونه. أما المتقون فيبقون على صداقتهم ومخاللتهم لبعضهم ولأن علاقتهم وصداقتهم في الدنيا كانت لله وفي الله ولم تكن من أجل عرض من أعراض الدنيا مهما كان»[(٤)].

٣ ـ النجاة من النار:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

---

(١) آيات التقوى في القرآن، ص١٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم ١٥٢/٨.
(٣) جامع البيان ٦٣٧/٢١.
(٤) آيات التقوى في القرآن، ص١٢٨.

«في هذه الآية الكريمة بيان أن التقوى لله تنجي المتقين من الموقف الصعب الهائل المخيف يوم القيامة، من النار الرهيبة التي جعلها الله سبحانه جزاء للظالمين الذين لا يتقون الله ولا يخافون عذابه»[(١)].

٤ ـ الجنة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران]، أي: «ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها»[(٢)].

٥ ـ الفلاح:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة]، أي: «واتقوا الله أيها الناس، فاحذروه وارهبوه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه، واجتناب ما نهاكم عنه، لتفلحوا فتنجحوا في طلباتكم لديه، وتدركوا به البقاءَ في جَنَّاته والخلودَ في نعيمه»[(٣)].

قال الطنطاوي: «أمر تعالى بالتقوى التي تتضمن القيام بجميع الواجبات واجتناب البدع والمنكرات، أي: افعلوا ما أمركم الله به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، لتكونوا من المفلحين، وهم الفائزون بالحياة المطمئنة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة»[(٤)].

٦ ـ الأمن من الخوف والحزن في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف]، أي: «فمن آمن منكم بما أتاه به رُسلي مما قص عليه من آياتي وصدَّق،

---

(١) آيات التقوى في القرآن، ص١١٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص١٤٨.
(٣) جامع البيان ٥٦١/٣.
(٤) التفسير الوسيط ٣٢٢/١.

واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله ﴿وَأَصْلِحْ﴾، يقول: وأصلح أعماله التي كان لها مفسداً قبل ذلك من معاصي الله بالتحوُّب منها ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: وأصلح أعماله التي كان لها مفسداً قبل ذلك من معاصي الله بالتحوُّب منها ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنَّبوها، اتباعاً منهم لنهي الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك»[1].

٧ ـ قبول العمل:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة]، أي: «القبول فعل الله لا فعل غيره، وهو يتقبّل من المتّقي لا من غيره. يعرّض به أنّه ليس بتَقِي، ولذلك لم يتقبّل الله منه. وقد أفاد قول ابن آدم حصرَ القبول في أعمال المتّقين، ويحتمل أنْ يراد بالمتّقين المخلصون في العمل، فيكون عدم القبول أمارة على عدم الإخلاص، ويحتمل أن يريد بالتقبّل تقبّلاً خاصّاً، وهو التّقبل التّامّ الدالّ عليه احتراق القربان»[2].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) جامع البيان ٤٠٦/١٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٤/٤.

المبحث الثاني
التربية على ذكر الله

عبادة الله باللسان والقلب تسمى ذكراً، وكل طاعة لله ورسوله وتأمل في آيات الله الكونية أو المتلوة فإنه ذكر لله، ولذا فإن **حقيقة الذكر: حضور القلب والذهن لاستعظام الرب جلَّ وعلا**، وليس مجرد ترديد كلمات من طرف اللسان.

قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

فأمر الله عباده أن يكونوا ملازمين لذكره حتى يكون ربهم الرحيم اللطيف قريباً منهم، كما أمر الله تعالى رسله عليهم السلام بقوله: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ [طه].

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله**»[1]. والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

والمتأمل في شعائر الحج: من تلبية، وتكبير، وتهليل، ودعاء، وفي

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٣٧٩٠)، المستدرك على الصحيحين ٦٧٣/١ (٣٧٩٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

نصوص الوحيين الواردة في الحج، يجد أن الإكثار من ذكر الله من أبرز حكم الحج وغاياته، ومن ذلك:

١ ـ الذكر عند المشعر الحرام:

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة].

أي: «فاذكروا الله بالتسبيح والتلبية والدعاء عند المشعر الحرام ـ المزدلفة ـ، واذكروا الله على الوجه الصحيح الذي هداكم إليه، ولقد كنتم من قبل هذا الهدى في ضلال لا تعرفون معه الحق»(١).

«يأمر بذكر الله عنده بعد الإفاضة من عرفات. ثم يُذَكِّر المسلمين بأن هذا الذكر من هداية الله لهم؛ وهو مظهر الشكر على هذه الهداية»(٢).

٢ ـ الذكر في أيام منى وما بعدها:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحَمَالات ويحمل الديات. ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم. فأنزل الله على نبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾»(٣).

«أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله: شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة.

---

(١) التفسير الميسر، ص٢١٢.
(٢) في ظلال القرآن ١/١٧٥.
(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١/٥٥٧، وابن كثير في التفسير ١/٥٥٧.

وهكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنَّ بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل، كما أن الأول، حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر»[(١)].

«إن ذكر الله هو الذي يرفع العباد حقاً وليس هو التفاخر بالآباء. فالميزان الجديد للقيم البشرية هو ميزان التقوى. ميزان الاتصال بالله وذكره وتقواه، ثم يزن لهم بهذا الميزان، ويريهم مقادير الناس ومآلاتهم بهذا الميزان»[(٢)].

٣ ـ الذكر أيام التشريق:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

«يعني: التكبير أدبار الصلوات في أيام التشريق»[(٣)]، فقد «أمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافاً لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أيام التشريق، أيام أكل وشرب، وذكر الله**»[(٤)].

ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد»[(٥)].

٤ ـ الذكر عند الذبح:

قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٢.
(٢) في ظلال القرآن ١/١٧٨.
(٣) الوجيز ١/١٥٨.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٣.

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج].

قال الواحدي: «يعني: التسمية على ما ينحر في يوم النحر وأيام التشريق»[(١)].

وقال السعدي: «أي: ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا، شكراً لله على ما رزقهم منها، ويسرها لهم»[(٢)].

«قدَّم ذكر اسم الله المصاحب لنحر الذبائح، لأن الجو جو عبادة ولأن المقصود من النحر هو التقرب إلى الله. ومن ثم فإن أظهر ما يبرز في عملية النحر هو ذكر اسم الله على الذبيحة. وكأنما هو الهدف المقصود من النحر لا النحر ذاته»[(٣)].

٥ ـ الذكر شكراً وتوحيداً:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٣٤].

قال القرطبي: «فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له؛ لأنه رازق ذلك»[(٤)].

«والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكاً، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره»[(٥)]، «فالإسلام يوحد المشاعر والاتجاهات، ويتوجه بها كلها إلى الله. ومن ثَمَّ يُعْنَىٰ بتوجيه الشعور والعمل، والنشاط والعبادة، والحركة والعادة؛ إلى تلك الوجهة الواحدة. وبذلك تصطبغ الحياة كلها بصبغة العقيدة.

---

(١) الوجيز ٧٣٢/١.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٦.
(٣) في ظلال القرآن ١٩٣/٥ بتصرف يسير.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥٨/١٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٨.

وعلى هذا الأساس حرم من الذبائح ما أهل لغير الله به؛ وحتم ذكر اسم الله عليها، حتى ليجعل ذكر اسم الله هو الغرض البارز، وكأنما تذبح الذبيحة بقصد ذكر اسم الله»[(١)].

٦ ـ الذكر عند المناسك والمصالح:

قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦].

عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**»[(٢)].

وعن نبيشة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنا كنا نهيناكم عن لحومها أن تأكلوها فوق ثلاث لكي تسعكم فقد جاء الله بالسعة فكلوا وادخروا واتجروا، ألا وإن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر الله** ﷻ»[(٣)].

٧ ـ خيرية الذاكرين:

عن أبي سعيد ﵁ الخدري قال: خرج معاوية ﵁ على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم**». قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذاك**». قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله** ﷻ **يباهي بكم**

---

(١) في ظلال القرآن ١٩٦/٥.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

الملائكة»[(١)]، فهذا الجمع من الحجاج يباهي الله بهم ملائكته.

قال ابن القيم: «أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله ﷻ فأفضل الصوام أكثرهم ذكراً لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله ﷻ، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكراً لله ﷻ»[(٢)].

سُئِلَ رسول الله ﷺ أي المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله**» قال: فأي الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله**» قال: فأي الجهاد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله**» قال: فأي الحجاج خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله**» قيل: فأي المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله**» الحديث[(٣)]....

«ومن الأهمية بمكان التنبيه على أن المنقول من دعائه ﷺ وتضرعه وثنائه على ربه في الحج قليل جداً بالنسبة لما لم ينقل؛ إذ الأصل أن ذلك سر بين العبد وربه، وإنما جهر ﷺ بما جهر به حين كان يريد تأسي أمته به»[(٤)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٧٠١).
(٢) الوابل الصيب، ص١٠٤.
(٣) أخرجه البيهقي في السنن ٤٠٨/١ (٥٥٨).
(٤) أحوال النبي ﷺ في الحج، مقال في مجلة البيان عدد ١٦٠.

المبحث الثالث
التربية على الدعاء

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

الحج ميدان كبير من ميادين الدعاء، ويمكن بيان هذا الأمر من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
أفضل الدعاء في الحج

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

عن ابن عباس ﷺ قال: «كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غَيث وعام خِصْب وعام وِلادٍ حسن.

لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ وكان يجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فأنزل الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾»[1].

قال ابن كثير: «ولهذا مدح من يسأله للدنيا والأخرى، فجمعت هذه الدعوةُ كلَّ خير في الدنيا، وصرَفت كلّ شر.

فإن الحسنة في الدنيا تشملُ: كلّ مطلوب دنيوي؛ من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عباراتُ المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا.

وأما الحسنة في الآخرة: فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة.

وأما النجاة من النار فهو يقتضي: تيسير أسبابه في الدنيا؛ من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام»[2].

وقال القاسم بن عبدالرحمٰن: «من أعطي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وجسداً صابراً، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ووقي عذاب النار»[3].

ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء، فعن أنس بن مالك ﷺ

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥٥٨/١، وابن أبي حاتم في التفسير ٤٥/٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٥٨/١.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٤٨/٢.

قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهم ربَّنا، آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[(١)].

ففي الآيات: «أخبر تعالى عن أحوال الخلق في الحج، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه.

فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، والحث عليه»[(٢)].

«إنهم يطلبون من الله الحسنة في الدارين، ولا يحددون نوع الحسنة بل يدعون اختيارها لله، والله يختار لهم ما يراه حسنة، وهم باختياره لهم راضون.. وهؤلاء لهم نصيب مضمون لا يبطئ عليهم. فالله سريع الحساب.

إن هذا التعليم الإلٰهي يحدد: لمن يكون الاتجاه. ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره، وترك لله الخيرة، ورضي بما يختاره له الله، فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة. ومن جعل همه الدنيا فقد خسر في الآخرة كل نصيب»[(٣)].

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ (٤٥٢٢). ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الدعاء باللَّهم آتنا في الدنيا (٢٦٩٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٢.

(٣) في ظلال القرآن ١/١٧٨.

المطلب الثاني
رحلة الحج والأدعية فيها

الإحرام بالحج أو بالعمرة، أو بهما: رحلة تعبدية معمورة بالذكر والدعاء، من أول ما يبدأ الحاج أو المعتمر سفره، إلى رجوعه إلى داره.

وهناك مواضع صحَّ فيها الدعاء عن رسول الله ﷺ وهي:

١ ـ الدعاء في الطواف.

٢ ـ الدعاء عند الوقوف على الصفا والمروة.

٣ ـ الدعاء عند الوقوف بعرفة من بعد الظهر إلى غروب الشمس.

٤ ـ الدعاء في مزدلفة عند المشعر الحرام، ولا سيما بعد الفجر إلى الإسفار.

٥ ـ في أيام التشريق لا سيما بعد رمي الجمرتين الأُوليين.

٦ ـ الدعاء عند الملتزم وهو ما بين الركن والباب في أي وقت.

وتفصيل هذه المواضع المؤكد الدعاء فيها، وغيرها يمكن عرضها من خلال عرض رحلة الحج كاملة من العزم على الحج وحتى العودة وذلك على النحو التالي:

١ ـ دعاء الاستخارة:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن. يقول لنا: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين، من غير الفريضة، وليقل: اللَّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللَّهم: إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ يسميه ـ**

خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري؛ فاقدره لي، ويسره لي، وبارك لي فيه. اللَّهم وإن كنت تعلمه شراً لي ـ ويسميه ـ فاصرفني عنه، واصرفه عني، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»[(١)].

مع التنبيه إلى أن الاستخارة هنا على الخروج مع رفقة معينة أو الحج هذا العام مثلاً وليس على طاعة الحج فالعبادات لا يستخار فيها.

٢ ـ دعاء السفر:

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللَّهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللَّهم: هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده. اللَّهم: أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. اللَّهم: إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في المال والأهل**» وإذا رجع قالهن. وزاد فيهن: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[(٢)]. أو غيره من صيغ دعاء السفر الصحيحة.

٣ ـ دعاء الإخلاص في الحج:

عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك ﷺ قال: حج النبي ﷺ على رحل رث. وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي: ثم قال: «**اللَّهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»[(٣)].

٤ ـ التلبية:

ففي حديث جابر ﷺ قال: فأهلّ بالتوحيد: «**لبيك اللَّهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**»[(٤)].

وعن يحيى بن سيرين، أنه حج مع أنس بن مالك ﷺ، فحدثنا أنه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة (٦٣٨٢).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (١٣٤٢).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.

أحرم من العقيق، قال: وكان يقول في تلبيته: «لبيك حجاً حقاً، تعبداً ورقاً»[1].

وهذه التلبية تنقطع عند رؤية الكعبة وتبدأ يوم الثامن ـ يوم التروية ـ وتنقطع عند رمي جمرة العقبة الأول.

٥ ـ دعاء دخول المسجد:

عن أبي حميد أو أبي أسيد الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللَّهم افتح لي أبواب رحمتك. فإذا خرج فليقل: اللَّهم إني أسألك من فضلك**»[2].

٦ ـ دعاء ما بين الركن اليماني والحجر الأسود:

عن عبدالله بن السائب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3].

٧ ـ الدعاء عند الصفا والمروة:

جاء في حديث جابر ﷺ: «فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ...﴾ [البقرة: ١٥٨]، «**أبدأ بما بدأ الله به**». فبدأ بالصفا فرقى عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**».

ثم دعا بين ذلك. قال: مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة

---

(١) رواه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، كتاب الحج، باب في الإحرام وفضله والتلبية وما جاء في التلبية في الأماكن المقدسة (٢٤٨٥). وقال: رواه مسدد، ورواته ثقات.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد (٧١٣).

(٣) تقدم تخريجه.

حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا»[(١)].

٨ ـ دعاء يوم عرفة:

جاء في حديث جابر ﷺ: «حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص»[(٢)].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»[(٣)].

٩ ـ الدعاء عند المشعر الحرام:

جاء في حديث جابر ﷺ: «ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس»[(٤)].

١٠ ـ الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى في أيام التشريق:

أخرج البخاري بسنده عن الزهري: أن رسول الله ﷺ كان إذا رمى الجمرة ـ التي تلي مسجد منى ـ يرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها فوقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار ـ مما يلي الوادي ـ فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة فيرميها بسبع حصيات يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف، ولا يقف عندها. قال الزهري: سمعت سالم بن

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.

عبدالله يحدث مثل هذا عن أبيه عن النبي ﷺ وكان ابن عمر يفعله[1].

١١ ـ دعاء ذبح الهدي:

عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ ذبح يوم العيد كبشين، ثم قال حين وجههما: «**إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. بسم الله. الله أكبر. اللَّهم منك ولك عن محمد وأمته**»[2].

هذه هي رحلة مواضع وصيغ الدعاء في الحج، مع العلم أن الدعاء والتضرع لله تعالى مشروع في سائر أعمال الحج، وبهذا يكون الحج مدرسةَ تربيةٍ، تربي المسلم على الدعاء في كل وقت وفي كل حين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الدعاء عند الجمرتين (١٧٥٣).

(٢) مسند أحمد ٣/٣٧٥ (١٥٠٦٤)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين، والحاكم ١/٦٣٩ رقم (١٧١٦) وقال: صحيح على شرط مسلم.

المبحث الرابع
التربية على التوبة والاستغفار

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة].

«﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ من مزدلفة ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم، وهو: رمي الجمار، وذبح الهدايا، والطواف، والسعي، والمبيت بمنى ليالي التشريق وتكميل باقي المناسك.

ولما كانت هذه الإفاضة، يقصد بها ما ذكر ـ والمذكورات آخر المناسك ـ أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره، والإكثار من ذكره.

فالاستغفار: للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها.

وذكر الله: شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة.

وهكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنّ بها على ربه، وجَعَلَت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل. كما أن الأول؛ حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخَر»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٢.

قال الطنطاوي: «أي: استغفروا الله من ذنوبكم ومما سلف منكم من أخطاء فإن المؤمن كلما قويت روحه، وصفت نفسه أحس بأنه مقصر أمام نعم خالقه التي لا تحصى، ومن أكثر من التوبة والاستغفار غفر الله له ما فرط منه، لأنه سبحانه كثير الغفران، واسع الرحمة»[(١)].

يقول سيد: «استغفروه من تلك الكبرة الجاهلية. واستغفروه من كل ما مس الحج من مخالفات ولو يسيرة هجست في النفس، أو نطق بها اللسان. مما نهى عنه من الرفث والفسوق والجدال.

وهكذا يقيم الإسلام سلوك المسلمين في الحج، على أساس من التصور الذي هدى البشرية إليه. أساس المساواة، وأساس الأمة الواحدة التي لا تفرقها طبقة، ولا يفرقها جنس، ولا تفرقها لغة، ولا تفرقها سمة من سمات الأرض جميعاً.. وهكذا يردهم إلى استغفار الله من كل ما يخالف عن هذا التصور النظيف الرفيع»[(٢)].

والأحاديث الدالة على التحفيز على المبادرة إلى التوبة والاستغفار من خلال الحج كثيرة ومنها:

قال ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة**»[(٤)].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد**

---

(١) تفسير الوسيط ١/٣٤٣.

(٢) في ظلال القرآن ١/١٧٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٥٢١)، ومسلم كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٥٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها (١٧٧٣)، ومسلم كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٤٩).

والذهب والفضة. وليس للحجة المبرورة ثواب إلا في الجنة»[1].

فالحج فتح باب الأمل لأهل المعاصي وتربيتهم على تركها ونبذها في تلك المشاعر؛ حيث يتركون كثيراً من عاداتهم السيئة خلال فترة الحج.

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي؛ أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ابسط يدك فلأبايعك. فبسط. فقبضت يدي. فقال: **مالك يا عمرو؟**» قلت: أشترط. قال: «**تشترط ماذا؟**» قلت: أن يغفر لي. قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قلبه**»[2].

وعن ابن المسيب قال: قالت عائشة ﷺ إن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار؛ من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة؛ فيقول: ما أراد هؤلاء**»[3].

فهذا كله تحفيز على الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة (٨١٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١٢١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٤٨).

المبحث الخامس
الحج والتربية على التوكل على الله

«التوكل هو: اعتماد القلب على الله تعالى، وثقته به وأنه كافيه»[(١)].

قال ابن عطاء: «التوكل ألا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب، مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها»[(٢)].

قال ابن القيم: «التوكل مركبٌ من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب، وسكونه إلى قضائه وقدره، وطمأنينته وكفايته له، وشكره إذا أعطى، وصبره إذا منع»[(٣)]، فلا ينافي التوكل العمل بالأسباب قال عليه الصلاة والسلام: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[(٤)].

والحج مدرسة عظيمة للتدريب على التوكل على الله تعالى: قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) مختصر معارج القبول، ص١٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/١١٥.

(٣) مدارج السالكين ٢/١١٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله (٦٥٩٦)، ومسلم كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (ح٢٦٤٨) مع اختلاف في لفظ الحديث.

عن ابن عباس ﷺ قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون!! ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1].

قال ابن العربي: «أمر الله تعالى بالتزود لمن كان له مال، ومن لم يكن له مال فإن كان ذا حرفة تنفق في الطريق أو سائلاً فلا خطاب عليه، وإنما خاطب الله أهل الأموال الذين كانوا يتركون أموالهم ويخرجون بغير زاد ويقولون: نحن المتوكلون.

والتوكل له شروط، من قام بها خرج بغير زاد ولا يدخل في الخطاب. فإنه خرج على الأغلب من الخلق وهم المقصرون عن درجة التوكل الغافلون عن حقائقه، والله ﷻ أعلم»[2].

قال أبو الفرج الجوزي: «وقد لَبَّس إبليس على قوم يدّعون التوكل، فخرجوا بلا زاد، وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ»[3].

«قال رجل لأحمد بن حنبل: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد. فقال له أحمد: اخرج في غير القافلة. فقال: لا. إلا معهم. قال: فعلى جِرَب الناس توكلت»[4].

فأمر الله تعالى: «بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، سؤالاً واستشرافاً، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية ـ بلغة ومتاع»[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (١٥٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤١١.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٣/٤٠٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤١١.

(٥) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩١.

قال ابن حجر: «التوكل لا يكون مع السؤال وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء وقيل هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب كما قال عليه السلام: «**اعقلها وتوكل**»[1]»[2].

يقول ابن القيم: «اعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به»[3].

(١) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٦٠ برقم (٢٥١٧) وحسَّنه الألباني.

(٢) فتح الباري ١٦١/٥.

(٣) مدارج السالكين ١١٩/٢.

المبحث السادس

التربية على التقرب إلى الله بالطواف والاعتكاف والصلاة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

فأمر بالصلاة عند البيت؛ بل في مكان مخصوصٍ منه، وأمر بتطهير البيت ليكون محلاً صالحاً للطواف والاعتكاف والصلاة.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

فأمر بالتوحيد ونهى عن الشرك، وكرر الأمر بتطهير البيت الحرام وجعله من وظيفة أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

ففي الآيات دلالة واضحة على أن أفضل العبادات التي تكون في الحرم هي ما ذكره الله تعالى في كتابه وهي ثلاثة، الطواف، والاعتكاف، والصلاة، «فكل مقيم عند بيت الله إرادة ذات الله فلا يخلو من إحدى هذه الرتب الثلاث إما أن يكون في صلاة أو في طواف فإن كان في شغل من دنياه فحال العكوف على مجاورة البيت لا يفارقه»[1].

وسنتطرق لهذه العبادات من خلال المطالب التالية:

---

(١) المحرر الوجيز ١/١٩٤.

المطلب الأول
عبادة الطواف

وسنتحدث عن هذه العبادة العظيمة في النقاط التالية[1]:

أولاً: فضل الطواف:

يكفي في فضل الطواف أن الله تعالى ذكره في كتابه ووصى إبراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة من أجل الطواف.

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ «أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتق: من تسلط الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصاً بعد الأمر بالمناسك عموماً، لفضله، وشرفه، ولكونه المقصود، وما قبله وسائل إليه. ولعله ـ والله أعلم أيضاً ـ لفائدة أخرى، وهو: أن الطواف مشروع كل وقت، وسواء كان تابعاً لنسك، أم مستقلاً بنفسه»[2].

وكذلك ما ورد من فعل رسول الله ﷺ وقوله في فضل الطواف فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من طاف بهذا البيت سُبُوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة، لا يضع قدماً، ولا يرفع أخرى إلا حطَّ اللَّهُ عنه بها خطيئة، وكُتِبَتْ له بها حسنة**»[3]، وفي لفظ: «**من طاف**

---

(١) سنتحدث هنا بإجمال ولن نذكر الأدلة لعدم الإطالة فالمقصود المعرفة، ويمكن مراجعة كتب السنة عند الحديث عند ذكر أحاديث الطواف، وكتب الفقه في بيان أحكام الطواف.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٧.

(٣) جامع الترمذي، كتاب الصوم باب ما جاء في استلام الركنين (٩٥٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأحمد في المسند ٢/٩٥ (٥٧٠١) قال شعيب الأرناؤوط: حسن.

بالبيت وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة»[1].

وقد أمرنا الرسول الكريم بالاستمتاع بالطواف حيث أخبر ﷺ بضرورة استغلالها قبل فوات الأوان، فقال: «**استمتعوا بهذا البيت؛ فإنه قد هُدم مرتين ويُرفع الثالثة**»[2].

ثانياً: الحكمة من عبادة الطواف:

شرع الله تعالى الطواف لحكم كثيرة ـ سواء عرفناها أم لا ـ ومنها:

١ ـ أنَّ الطواف يُظْهِر التعظيم لبيت الله الحرام.

٢ ـ الامتثال لأمره سبحانه.

٣ ـ وإنما جعل الطواف والسعي من أجل الذكر والدعاء.

ثالثاً: خصوصية الطواف حول الكعبة:

الطواف عبادة خاصة بمكة، وهي من أشرف وأفضل القربات التي يتقرب بها المسلم لله وحده، ولا يصح الطواف في غير مكة، بل وليس في الأرض موضع يُطاف به سوى البيت العتيق، فلا يجوز أن يُطاف بأي بقعة في الأرض، فلا يُطاف حول قبر أو مسجد أو صخرة أو غير ذلك، ومن فعل ذلك فقد وقع في البدعة والشرك بالله تعالى وأحدث في دين الله تعالى ما ليس منه، فلا يقاس على الكعبة أي مكان يعظمه الناس سواء كان ذلك التعظيم صحيحاً أو غير صحيح.

والطائف بالبيت لا يدعو الكعبة، ولكنه يدعو ربها امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ [قريش]، فلم يقل: فليعبدوا البيت؛ بل جعل العبادة لرب البيت.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب فضل الطواف (٢٩٥٦) وصححه الألباني.

(٢) صحيح ابن حبان ١٥/١٥٣ (٦٧٥٣) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في المستدرك ١/٦٠٨ (١٦١٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

والطواف بالبيت يجوز في كل حال وفي كل وقت، وهو عبادة مستقلة، كما أن الاعتكاف والصلاة فيه عبادة فاضلة.

فلذلك يجوز لك أن تقصد البيت، وأن تقصد الكعبة بدون إحرام، قصدك أن تطوف ولو لم تكن محرماً، فحيث إن الطواف بالبيت عبادة من العبادات، فإنه يصح أن يُقْصَدَ لكي يصلي فيه، بل ويجوز أن تُشدّ إليه الرحال ولو مسيرة بعيدة، ليس قصدك إلا أن تصلي أو تطوف بهذا البيت، كما أنه يقصد لأداء مناسك الحج أو العمرة.

رابعاً: شروط صحة الطواف:

١ ـ الطهارة من الحدث والنجس في الثوب والبدن.

٢ ـ ستر العورة.

٣ ـ أن يكون الطواف خارج البيت.

٤ ـ أن يطوف بالبيت سبعة أشواط.

٥ ـ أن يبدأ كل شوط منها من الحجر الأسود وينتهي الشوط إليه.

٦ ـ أن يجعل البيت عن يساره، فإن جعل البيت عن يمينه لم يصح طوافه.

خامساً: سنن الطواف:

١ ـ الإكثار من الدعاء وذكر الله تعالى.

٢ ـ استقبال الحجر الأسود بالتهليل والتكبير، واستلامه، وتقبيله إذا تمكن دون أن يؤذي أحداً من المسلمين فإن لم يتمكن أشار إليه بيده وكبر.

٣ ـ استلام الركن اليماني: وهو الركن الواقع قبل الركن الذي فيه الحجر الأسود.

٤ ـ الاضطباع: وهو أن يجعل وسط ردائه تحت منكبه الأيمن ويطرح طرفيه على عاتقه الأيسر، وهو سنة في طواف القدوم.

٥ ـ الرمل: وهو أن يسرع المشي مع تقارب الخطى مع هز الكتفين ويسن الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف.

٦ ـ الموالاة بين أشواط الطواف، فلا يفصل بين الأشواط فصلاً طويلاً، وإذا أقيمت الصلاة المكتوبة وهو يطوف صلى المكتوبة مع الجماعة ثم أتى بما بقي عليه من أشواط.

٧ ـ الدعاء المأثور بين الركن اليماني والحجر الأسود «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».

٨ ـ صلاة ركعتين بعد الفراغ من الطواف، خلف مقام إبراهيم يقرأ في الأولى سورة الكافرون وفي الثانية سورة الإخلاص.

سادساً: آداب الطواف:

الطواف عبادة لله ﷻ، فينبغي لمن يطوف أن يتأدب بالآداب التالية:

١ ـ إذا اضطر للحديث فلا يتحدث إلا بخير: كالأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر لقول النبي ﷺ: «**الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير**»[(١)].

٢ ـ وينبغي للطائف أن يكون في طوافه خاشعاً متخشعاً، حاضر القلب، ملازم الأدب بظاهره وباطنه، وفي هيئته، وحركته، ونظره، فإن الطواف صلاة فيتأدب بآدابها ويستشعر بقلبه من يطوف ببيته.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٦٠ (١٦٨٧) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد أوقفه جماعة. وابن خزيمة في صحيحه ٤/٢٢٢ (٢٧٣٩).

٣ ـ ويلزمه أن يصون نظره عن ما لا يحل النظر إليه، ويصون نظره وقلبه عن احتقار من يراه من الضعفاء والمرضى.

قال الغزالي: «وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة، فأحضر في لبيك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة، واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت، بل ولا شك أن الطواف فضله كبير؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر به في كتابه العزيز، وقد فعله رسول الله ﷺ ومعلوم قطعاً أن الله لا يأمر إلا بما له فضل كبير، وفيه المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه، ولا تختم إلا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت، واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية»[(١)].

سابعاً: التطوع في المسجد الحرام بالطواف:

يستحب الإكثار من الطواف كل وقت، لأهل مكة ومن دخلها من غيرهم؛ لأن الطواف نسك فريد، اختص به هذا البلد الأمين ـ مكة المكرمة ـ دون غيره من بلدان العالم.

إلا أن العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في التطوع في المسجد الحرام بالصلاة والطواف، أيهما أفضل، والذي عليه جمهورهم: أن الطواف لغير أهل مكة أفضل، أما أهل مكة فالصلاة لهم أفضل؛ لأن الصلاة في نفسها أفضل من الطواف؛ لأن النبي ﷺ شبه الطواف بالصلاة، ولكن الغرباء لو اشتغلوا بالصلاة لفاتهم الطواف من غير إمكان التدارك، فكان الاشتغال بما لا يمكن تداركه أولى.

واستدلوا بأن الله قدم الطواف على الصلاة في الآية، وكذلك لأن

(١) إحياء علوم الدين ٢٦٩/١.

الطواف يشتمل على صلاة ركعتين وزيادة دعاء وذكر، وهو مختص بهذا المكان، أما الصلاة ففي كل مكان طاهر، مما يدل على ذلك أن تحية المسجد الحرام الطواف.

قال الشيخ الشنقيطي: «وقال بعض أهل العلم: الصلاة أفضل لأهل مكة والطواف أفضل للغرباء»[1].

ثامناً: أنواع الطواف:

يمكن إجمال أنواع الطواف من حيث حكمه إلى ثلاث أنواع:

١ ـ طواف ركن: وهو طواف الإفاضة والطواف في العمرة.

٢ ـ طواف واجب: وهو طواف الوداع.

٣ ـ طواف سنة: وهو طواف القدوم، وطواف التطوع في أي وقت، ولا تقيده أوقات النهي عن الصلاة.

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
عبادة الاعتكاف

قال الطنطاوي في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾: «والعاكفين: جمع عاكف، من عكف على الشيء عكوفاً إذا أقام عليه ملازماً له، والمراد بهم: المقيمون في الحرم بقصد العبادة، ويدخل في العبادة مدارسة العلوم الدينية وما يساعد على فهمها»[2].

---

(١) أضواء البيان ٤/٤١٥.

(٢) الوسيط للطنطاوي ١/٢٠٥.

أولاً: مقدمة عن الاعتكاف عموماً:

الاعتكاف تسليمٌ للمعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى طلباً لرضا الله تعالى، وإبعاد النفس عن شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة إما حقيقة أو حكماً، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات.

وينقسم الاعتكاف من حيث حكمه إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **اعتكاف سنة**: وهو أن ينوي الاعتكاف تطوعاً لله تعالى. وأقله لحظة، أو ساعة، أو يوم، أو يوم وليلة حسب اختلاف الفقهاء، وهو سنة في كل وقت، ويسن ألا ينقص عن يوم وليلة.

٢ ـ **اعتكاف واجب**: لا يجب الاعتكاف إلا بالنذر عند الجمهور، وبالشروع في الاعتكاف المسنون عند المالكية.

ثانياً: فضل الاعتكاف في المسجد الحرام:

يكفي من فضل الاعتكاف في مكة أن الله تعالى أشار إليه في كتابه، وأمر إبراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة من أجله وأجل الصلاة.

وكذلك للأجور المضاعفة التي سيفوز بها المعتكف في المسجد الحرام عن غيره من المساجد، وما سيكون فيها من تجييش للنفس في طاعة الله تعالى.

ثالثاً: نذر الاعتكاف في المسجد الحرام:

عن عمر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله: إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال النبي ﷺ: «**أوف بنذرك**»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا نذر أو حلف أن لا يكلم إنساناً في الجاهلية ثم أسلم (٦٦٩٧).

وعن جابر بن عبدالله ﷺ أن رجلاً قال يوم الفتح: يا رسول الله، إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس، فقال: (صل هنا)، فسأله، فقال: «**شأنك إذاً**»[(١)].

«فإن من نذر اعتكافاً أو صلاة في أحدها لم يجزئه في غيره إلا أن يكون أفضل منه، فمن نذر في المسجد الحرام لم يجزئه غيره ولا يتعين غيره من المساجد، ومَن نذر في مسجد المدينة أجزأه فيه، وفي المسجد الحرام، ومن نذر في الأقصى أجزأه فيه، وفي مسجد المدينة، وفي المسجد الحرام؛ للحديث المتقدم[(٢)].

رابعاً: وقت الاعتكاف:

قال النووي: «ويصح اعتكاف ساعة واحدة، ولحظة واحدة، وضابطه عند أصحابنا: مكث يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، هذا هو الصحيح.

وفيه خلاف شاذ في المذهب، ولنا وجه أنه يصح اعتكاف المار في المسجد من غير ليث، والمشهور: الأول، فينبغي لكل جالس في المسجد؛ لانتظار صلاة أو لشغل آخر من آخرة أو دنيا أن ينوي الاعتكاف، فيحسب له ويثاب عليه ما لم يخرج من المسجد، فإذا خرج ثم دخل جدد نية أخرى، وليس للاعتكاف ذكر مخصوص ولا فعل آخر سوى اللبث في المسجد بنية الاعتكاف، ولو تكلم بكلام دنيا، أو عمل صنعة من خياطة أو غيرها[(٣)].

❋ ❋ ❋

(١) سنن أبي داود كتاب الأيمان والنذور باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس (٣٣٠٥) وصححه الألباني.
(٢) الأسئلة والأجوبة الفقهية ١٨٦/٢.
(٣) شرح النووي على مسلم ٢٠١/٤.

المطلب الثالث
عبادة الصلاة

أولاً: العبودية بالركوع والسجود:

عبر الله تعالى عن الصلاة بقوله: قال تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: «المصلون وخص الركوع والسجود بالذكر لأنهما أقرب أحوال المصلي إلى الله تعالى»[(١)].

فهذا التعبير الرباني يوحي بأن الإنسان يكون في مكة أقرب إلى الله تعالى من أي وقت آخر، سواء كان في صلاة أو طواف، والمعبر عن هذا القرب هو تلك الهيئة التي لا تكون إلا لله تعالى وهي هيئة الركوع والسجود.

عن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ أنه قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: (سَلْ). **فقلت: يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «أو غَيْرَ ذلك؟»** قلت: هو ذاك. قال: «**فَأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[(٢)].

وعن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**»[(٣)].

وهذا يحث العبد على كثرة الصلاة في المسجد الحرام ليفوز بأمرين:

---

(١) المحرر الوجيز ١/١٩٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب السجود، باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٩).
(٣) صحيح مسلم، كتاب السجود، باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٨).

١ ـ التقرب إلى الله تعالى أكثر.

٢ ـ حصوله على الأجر المضاعف في مكة.

ثانياً: فضل الصلاة في المسجد الحرام:

عن عبدالله بن الزبير ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**»[(١)].

عن ابن عباس ﷺ أنه سأل عن قول النبي ﷺ: «**الصلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة**»، أهي الفريضة في جماعة، أو صلاة الرجل وحده في المسجد الحرام أو غير المسجد الحرام؟ قال: «بل هي صلاة الرجل وحده في المسجد الحرام، أو في الحرم، فإذا صلاها في جماعة، فذلك ألف ألف وخمسمائة ألف صلاة، فقال الرجل للذي سأله: يا أبا عباس، عن رأيك تحدثنا أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بل عن رسول الله ﷺ أحدثك، مرة بعد مرة، يقولها ثلاثاً»[(٢)].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخبار مكة للفاكهاني ٣/٢٧٧ (١١٣٨).

المبحث السابع
التربية على شكر الله تعالى

المطلب الأول
التربية على شكر الله بعرض شكر الله للعبد

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].

قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: «ومن تطوع خيراً جوزي به، لأن ﴿ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ أي: لا يضيع أجر محسن ﴿عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عنه إحسانه، وذكر الوصفين لأن ترك الثواب عن الإحسان لا يكون إلَّا عن جحود للفضيلة أو جهل بها»[1]. «ومن فعل الطاعات طواعية من نفسه مخلصاً بها لله تعالى، فإن الله تعالى ﴿شَاكِرٌ﴾ يثيب على القليل بالكثير، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده فلا يضيعها، ولا يبخس أحداً مثقال ذرة»[2].

فالله تعالى: ﴿شَاكِرٌ﴾ «يثيب على القليل بالكثير ﴿عَلِيمٌ﴾ بقدر الجزاء

---

(١) التحرير والتنوير ٢/١٣٢.

(٢) التفسير الميسر ١/١٧٢.

فلا يبخس أحداً ثوابه و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء]»[1].

«وشكر الله العبد بأحد معنيين: إما بالثواب، وإما بالثناء. وعلمه هنا: هو علمه بقدر الجزاء الذي للعبد على فعل الطاعة، أو بنيته وإخلاصه في العمل.

وقد وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن، لأن التطوّع بالخير يتضمن الفعل والقصد، فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل، وذكر العلم باعتبار القصد، وأخرت صفة العلم؛ وإن كانت متقدمة على الشكر كما أن النية مقدمة على الفعل»[2]، وباعتبار أن العلم يسبق الشكر ويلحقه فهو أشمل منه وأوسع، وفيه نذارة للعبد لأن الشكر يستوجب الفضل وأما العلم فهو يستوجب الحساب والجزاء.

فإن «الشاكر والشكور: من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك، يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفراً، لم تنقصه هذا الأمور.

ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله أعاضه الله خيراً منه[3]، ومن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٧٢/١.

(٢) البحر المحيط ٣٩٩/١.

(٣) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «**إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله جلَّ وعزَّ ألا أعطاك الله خيراً منه**» أخرجه أحمد في المسند ٧٨/٥ (٢٠٧٥٨) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة[1]، ومن عامله ربح عليه أضعافاً مضاعفة.

ومع أنه ﴿شَاكِرٌ﴾، فهو ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال العبادة، فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم»[2].

«ولا بد أن نقف لحظة أمام ذلك التعبير الموحي: ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.. إن المعنى المقصود أن الله يرضى عن ذلك الخير ويثيب عليه. ولكن كلمة ﴿شَاكِرٌ﴾ تلقي ظلالاً ندية وراء هذا المعنى المجرد. تلقي ظلال الرضى الكامل، حتى لكأنه الشكر من الرب للعبد؛ ومن ثم توحي بالأدب الواجب من العبد مع الرب. فإذا كان الرب يشكر لعبده الخير، فماذا يصنع العبد ليوفي الرب حقه من الشكر والحمد!! تلك ظلال التعبير القرآني التي تلمس الحس بكل ما فيها من الندى والرفق والجمال»[3].

ومن هنا: فإذا علم العبد أن الله شاكر لا بد له أن يلتزم هذه الصفة الجميلة التي يحب الله من العبد أن يتصف بها.

❋ ❋ ❋

(١) إشارة إلى الحديث القدسي: «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو اغفر ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**...». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٢٦٨٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٧٦.

(٣) في ظلال القرآن ١/١٢٠.

المطلب الثاني
التربية على شكر الله بالإشارة إليها ضمن أعمال الحج

ويظهر ذلك في عدد من المواقف:

أولاً: الأمر بشكر الله في التلبية:

لقد ثبت أن التلبية الشرعية هي: «**لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**».

فقولنا: «**إن الحمد والنعمة لك**» هي عبارة عن الشكر لله تعالى على نعمه العظيمة التي من ضمنها تسهيل أمر الحج والعمرة، والتوفيق لنعمة العبادة، والاصطفاء لأن يكون ذلك الحاج والمعتمر من الذين أكرمهم الله تعالى بهذه المنة.

ثانياً: أمر الله تعالى بشكره على نعمة الأمن والرزق:

فالله تعالى لما امتن على أهل مكة ومن يقصدها للحج والعمرة بنعمة الأمن والسعة الرزق أمر عباده بعد كل مِنّة بشكره ومن ذلك:

١ ـ الشكر بالصلاة خلف مقام إبراهيم: قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، ولا شك أن المقام آيةٌ وعبرةٌ كما قال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية.

٢ ـ الشكر بإقامة الحج: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]، وأعظم شكر النعم القيام بعبادة الله فيها.

٣ ـ شكر الله تعالى بتوجيه العبادة له وحده: قال تعالى: ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾

﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ۝٤﴾ [قريش]، فأوجب عليهم عبادته سبحانه، واحتج عليهم لها بنعمته عليهم.

ثالثاً: أمر الله تعالى بشكره على نعمة الهداية:

فقد أمر الله تعالى عباده عند الإفاضة من عرفة بشكره عن طريق الذكر على نعمة الهداية لهم، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال ابن كثير: «تنبيه لهم على ما أنْعَم به عليهم، من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج، على ما كان عليه إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ولهذا قال: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قيل: من قبل هذا الهدي، وقبل القرآن، وقبل الرسول، والكل متقارب، ومتلازم، وصحيح»[1].

وقال السعدي: «أي: اذكروا الله تعالى كما منّ عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم، التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب واللسان»[2].

رابعاً: الأمر بشكره على نعمة بهيمة الأنعام والنسك:

قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ۝٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج]. فذكر اسم الله عليها من أعظم شكره على نعمه.

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج]. فسمى شكرهم إياه نُسُكاً.

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٥٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩٢.

ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

فقد أمر الله تعالى في هذه الآيات بشكره على رزقه لهم ببهيمة الأنعام بعدد من الأمور:

١ ـ شكر الله تعالى بذبح النسك على التوحيد.

٢ ـ شكر الله تعالى بالإطعام من هذا النسك.

٣ ـ شكر الله تعالى بالتزام التوحيد والخشوع له سبحانه.

٤ ـ التزام التقوى والإحسان في ذبح الهدي.

خامساً: دعاء الشكر عند الصعود على جبل الصفا:

فقد ورد في حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ وهو صاعد على الصفا كان يدعو ويقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»[(١)]، ففي المكان الذي حوربت فيه الدعوة وأوذي رسول الله ﷺ يعلن رسول الله ﷺ أن هذا كله بسبب نعمة الله عليه وهو محض توفيق من الله تعالى وحده.

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث
التربية على الشكر ببيان أن الله تعالى غني عن الشكر

بين الله تعالى أنه سبحانه غني عن شكر وعبادة الناس ويظهر ذلك من خلال النظر والتأمل في آيات الحج في موضعين:

---

(١) تقدم تخريجه.

الموضع الأول: عند أمره بعبادة الحج:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]. أي: «ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خَلْقه»[(١)]. فمن كفر «لعدم التزامه هذا الواجب ـ وتركه ـ ثم عظّم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، والله تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد. وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه، ثم أكد ذلك بذكر اسم ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عموماً، ولم يقل: فإن الله غني عنه، لأنه إذا كان غنياً عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة «إن» الدالة على التأكيد»[(٢)].

«والله سبحانه ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لا ينقص في ملكه شيئاً عصيان العصاة وطغيان الطغاة. ولا يزيد في ملكه شيئاً طاعة الطائعين وعبادة العابدين.. ولكن البشر هم أنفسهم الذين يذلون ويصغرون ويسفلون حين يدينون لغير الله من عباده؛ وهم الذين يعزون ويكرمون ويستعلون حين يدينون لله وحده، ويتحررون من العبودية للعبيد.. ولما كان الله سبحانه يريد لعباده العزة والكرامة والاستعلاء فقد أرسل رسله ليردوا الناس إلى عبادة الله وحده. وليخرجوهم من عبادة العبيد.. لخيرهم هم أنفسهم.. والله ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

إن الحياة البشرية لا تبلغ مستوى الكرامة الذي يريده الله للإنسان إلا بأن يعزم البشر أن يدينوا لله وحده، وأن يخلعوا من رقابهم نير الدينونة لغير الله. ذلك النير المذل لكرامة الإنسان في أية صورة قد كان!»[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٨٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص١٣٨.
(٣) في ظلال القرآن ٤/١٩١.

وعلى ذل فالله غني عن شكر من شكر، وأن العبد إذا شكر الله تعالى فإنه يشكر لنفسه، قال تعالى عن قول سليمان عليه السلام: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. فجعل الشكر مقابل الكفر. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم]. هو غناه عن خلقه يوجب صرف الشكر له. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]. وهذا من أعظم دواعي الشكر، وعبادة الله به.

الموضع الثاني: عند الحديث عن ذبح الهدي:

قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

فقد امتن الله تعالى على عباده بتسخير الأنعام لهم لعلهم يشكرونه فقال: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ «أي: البدن ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على تسخيرها، فإنه لولا تسخيره لها، لم يكن لكم بها طاقة، ولكنه ذللها لكم وسخرها، رحمة بكم وإحساناً إليكم، فاحمدوه.

وقوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنما يناله الإخلاص فيها، والاحتساب، والنية الصالحة، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخراً ولا رياء، ولا سمعة،

ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه»[1]. قال ابن كثير: «إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا، لتذكروه عند ذبحها، فإنه الخالق الرازق لا أنه يناله شيء من لحومها ولا دمائها، فإنه تعالى هو الغني عما سواه»[2].

أما قوله: «﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: تعظموه وتجلوه، ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: مقابلة لهدايته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بعبادة الله بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبدوه، معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم، ورؤيته إياهم، والمحسنين لعباد الله، بجميع وجوه الإحسان من نفع مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة ونحو ذلك، فالمحسنون لهم البشارة من الله، بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم، كما أحسنوا في عبادته ولعباده»[3].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٨٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٣١.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٨٣.

المبحث الثامن
التربية على طلب الهداية من الله

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة].

فقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾.

قال أبو جعفر: «يعني بذلك جلَّ ثناؤه: واذكروا الله أيها المؤمنون عند المشعر الحرام بالثناء عليه، والشكر له على أياديه عندكم، وليكن ذكركم إياه بالخضوع لأمره، والطاعة له والشكر على ما أنعم عليكم من التوفيق، لما وفقكم له من سنن إبراهيم خليله بعد الذي كنتم فيه من الشرك والحيرة والعمى عن طريق الحق وبعد الضلالة كذكره إياكم بالهدى، حتى استنقذكم من النار به بعد أن كنتم على شفا حفرة منها، فنجاكم منها. وذلك هو معنى قوله: ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾»[1].

وقال القرطبي: «اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة، واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه، والضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ عائد إلى الهدي. وقيل إلى القرآن، أي: ما كنتم من قبل إنزاله إلا ضالين. وإن

(١) جامع البيان ٤/١٨٣.

شئت على النبي ﷺ كناية عن غير مذكور، والأول أظهر والله أعلم»[1].

«والجماعة المسلمة الأولى كانت تدرك حق الإدراك مدى وعمق هذه الحقيقة في حياتها.. لقد كانت قريبة عهد بما كان العرب فيه من ضلال الذي ينشئ بدوره اضطراباً في العبادات والشعائر والسلوك: من تحريم بعض الأنعام ظهورها أو لحومها ومن نذر بعض أولادهم للآلهة وإشراك الجن فيها، فحين كانوا يسمعون: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ كانت ولا شك تتواكب على خيالهم وذاكرتهم ومشاعرهم صور حياتهم الضالة الزرية الهابطة التي كانت تطبع تاريخهم كله؛ يتلفتون على أنفسهم ليروا مكانهم الجديد الذي رفعهم إليه الإسلام، والذي هداهم الله إليه بهذا الدين، فيدركون عمق هذه الحقيقة وأصالتها في وجودهم كله بلا جدال.

وهذه الحقيقة ما تزال قائمة بالقياس إلى المسلمين من كل أمة ومن كل جيل.. من هم بغير الإسلام؟ وما هم بغير هذه العقيدة؟ إنهم حين يهتدون إلى الإسلام، وحين يصبح المنهج الإسلامي حقيقة في حياتهم ينتقلون من طور وضيع صغير ضال مضطرب إلى طور آخر رفيع عظيم مهتد مستقيم. ولا يدركون هذه النقلة إلا حين يصبحون مسلمين حقاً، أي: حين يقيمون حياتهم كلها على النهج الإسلامي»[2]، ولهذا يكون ذلك محل شكرهم واعترافهم حتى يوم القيامة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف].

فالتذكير بنعمة الهداية وما كان عليه الإنسان من ضلال قبل الهداية يحث ويذكر على أهمية أن يطلب الإنسان من ربه الهداية دائماً وأبداً فهداية الله هي أعظم وخير هداية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٢٧.

(٢) في ظلال القرآن ١/١٧٥.

الفصل الرابع
التربية المنهجية في السير إلى الله من خلال الحج

تمهيد:

التربية المنهجية في السير إلى الله تعالى أمر اهتم به القرآن الكريم في تربية الأمة فقال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى موصياً عباده المؤمنين لينالوا تقواه ورضاه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

والحج كما قلنا مدرسة تربوية منهجية شاملة، وقد اشتمل على جوانب مهمة من المنهجية في السير إلى الله تعالى والدعوة إلى دينه وسنة رسوله.

وسنبرز هذا الجانب من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: التربية على أن من ترك شيء لله عوضه الله خير منه.

المبحث الثاني: الحج وغرس منهج الاستسلام الكامل لله:

المطلب الأول: غرس الاستسلام لله من خلال الأمر بالحج ومناسكه.

المطلب الثاني: نماذج نبوية في الاستسلام لله تعالى نتعلمها من الحج.

المطلب الثالث: نماذج من التربية على الاستسلام لله تعالى في الحج مختصرةً.

المبحث الثالث: الحج والتربية على منهجية الوسطية وعدم العلو في الدين.

المبحث الرابع: الحج والتربية على منهج التيسير على الأمة:

المطلب الأول: تأصيل مبدأ التيسير في الإسلام.

المطلب الثاني: صور من التيسير في الحج وأعماله.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الأول

التربية على أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خير منه

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون به، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: فمن أين لنا الطعام؟ قال: فأنزل الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾، قال: فأنزل الله عليهم المطر، وكثر خيرهم حين ذهب المشركون عنهم»[(١)].

ونقل ابن كثير عن ابن إسحاق قوله: «وذلك أن الناس قالوا: لتنقطعن عنا الأسواق، ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فنزلت ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: إن هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الأسواق، فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٢١٩/٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٣١/٤.

فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: «أيها المسلمون ﴿عَيْلَةً﴾ أي: فقراً وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فليس الرزق مقصوراً على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصاً لمن ترك شيئاً لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين.

وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: ﴿إِن شَآءَ﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقه الله بالمشيئة، فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب.

ثم ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها»[1].

قال ابن كثير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ أي: بما يصلحكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: فيما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه الكامل في أفعاله وأقواله، العادل في خلقه وأمره، تبارك وتعالى؛ ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة»[2]، وغيرها من المكاسب التي أباحها لهم، وسخرها لهم، بل وساقها إليهم من جميع أطراف الأرض.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٣٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٣٢/٤.

وهذه الحادثة تذكرنا وتؤكد قول النبي ﷺ: «**إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله جلَّ وعزَّ ألا أعطاك الله خيراً منه**»[1].

وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة: فهجر إبراهيم عليه السلام قومه واعتزلهم فعوضه الله الذرية الصالحة، وضحَّى يوسف عليه السلام بالشهوة فعوضه الله بالملك يتمتع بالمباحات، وضحَّى أهل الكهف بالراحة فعُوِّضوا بالراحة الأعظم، وكانوا سبباً لهداية الضالين، والمهاجرون تركوا أوطانهم وأهلهم فعوضهم الله بالرزق والعز والتمكين، وجمع شملهم بعد فرقة... وهكذا فكل من ترك ما تهواه نفسه وضحى به لله تعالى، وجاهد في سبيله لرفعة كلمته عوضه الله من محبته وعبادته والإنابة إليه ما يفوق لذَّات الدنيا كلها.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) أخرجه أحمد في المسند ٧٨/٥ (٢٠٧٥٨) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

المبحث الثاني
الحج وغرس منهج الاستسلام الكامل لله

المطلب الأول
غرس الاستسلام لله من خلال الأمر بالحج ومناسكه

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران] فأوجب عليهم الحج.

وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦] فأمر بإتمامه وإكماله على الوجه الذي يرضاه.

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج] فوصف استجابتهم لأمره ونداءه سبحانه بوصف جميل بهيج.

ومن خلال مجموع الآيات نجد أن الله تعالى أمر الناس بالحج فأتوا إليه مستسلمين طائعين ملبين يفعلون أعمال الحج كلها من غير سؤال عن العلة، ومن غير طلب اقتناع عقلي بتلك الأعمال.

فهم يطوفون حول حجرٍ، ويقبلون حجراً ويلمسون حجراً، ويسعون بين حجرٍ ويرمون حجراً بحجرٍ. ولكن يحرم عليهم أن يفعلوا ذلك عند أي حجرٍ ولا شجرٍ ولا وبرٍ ولا في أي مكان؛ فهم يفعلون هذه العبادات كما

أمرهم الله تعالى بحب وسعادة وشوق، وتذلل وخضوع لربهم جلَّ وعلا.

فالله تعالى يدرب ويغرس في المسلمين أنه كما أنكم أطعتم ربكم واستسلمتم له في الحج فكونوا لربكم مستسلمين في كل أموركم وإلا لم ينفعكم الاستسلام في بعض الأوامر والتوجيهات والعبادات وترك الاستسلام في بعضها الآخر كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة].

والنبي ﷺ قال لنا: «**خذوا عني مناسككم**»[1]، أي: فلا تتجاوزها، ولا تزيدوا، ولا تنقصوا، ولا تغيروا، ولا تبتدعوا، وعليكم «**بسنتي وسنة الخلفاء المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[2].

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
نماذج نبوية في الاستسلام لله تعالى نتعلمها من الحج

النموذج الأول: أبو الأنبياء وابنه إسماعيل عليهما السلام:

قال تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٩) وصححه الألباني، وأحمد في المسند ١٢٦/٤ (١٧١٨٥) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات].

«يا لله، ويا لروعة التسليم والطاعة لله سبحانه وتعالى. هذا هو إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والأقارب، والمهاجر، يُرْزَق في كِبره بغلام طالما تَطَّلع إليه يأنس به ويرافقه في الحياة.. يُؤمر بذبح ابنه فماذا؟ إنه لا يتردد عن الطاعة مع أن الأمر كان عبارة عن إشارة وليست وحياً مباشراً، ولكنه التسليم لأمر الله، ولكنه لا يُسلِّم في جزع ولا يطيع في اضطراب وذلك يتضح في كلماته لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾. فماذا يكون من الغلام الذي يُعْرَض عليه الذبح تَصْدِيْقاً لرؤيا والده؟ إنه يتلقى الأمر بالطاعة، وليس ذلك فحسب؛ ولكن في رضى ويقين بالله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إنه ارتقى إلى الأفق الذي ارتقى إليه أبوه من قبل»[1] فاللهم صلِّ عليهما وعلى نبينا محمد.

هذان نموذجان في وقت واحد، نموذج الوالد وولده يتلقيان الأمر بكل طاعة وتسليم لله تعالى. وهذا من أعظم الأمثلة في الصبر على طاعة الله تعالى. فهل نصل إلى هذه الدرجة أن نضحي بأنفسنا وأهلنا في سبيل الله وطاعةً له.

النموذج الثاني: تعليم النبي المباشر للصحابة الاستسلام لله تعالى في الحج:

عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: أهللنا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ في الحج خالصاً ليس معه عمرة، فقدم النبي ﷺ صبح رابعة مضت من ذي الحجة، فلما قدمنا؛ أمرنا النبي ﷺ أن نحل، وقال: «**أحلوا وأصيبوا من النساء**». قال جابر: ولم يعزم عليهم؛ ولكن أحلهن لهم. فبلغه أَنَّا نقول لمّا لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أُمرنا أن نُحِلَّ إلى نسائنا فنأتي عرفة

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٩٩٤.

تقطر مذاكيرنا المذي، فقام رسول الله ﷺ فقال: «**قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحللت كما تحلون، فحلوا فلو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت**». فحللنا وسمعنا وأطعنا[1].

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث
نماذج من التربية على الاستسلام لله تعالى في الحج مختصرةً

١ ـ وقت الحج من الدلائل العظيمة على أمر الاستسلام لله تعالى فلا يجوز ـ ولا يجزء ـ أن يحج المسلمون في غير هذا الزمان المحدد.

٢ ـ ولكل أهل جهة من الجهات ميقات محدد يهلون به للحج والعمرة لا يجوز لهم أن يحرموا قبله، ولا أن يتجاوزوه، وإلا ترتب على ذلك فدية.

٣ ـ عند الوصول إلى الميقات يتجرد المُهِلُّ للحج أو العمرة من ثيابه ويلبس لباساً محدداً بهيئة وصفة محددة، قد لا يستطيع أن يلبسه في مكان غير هذا المكان، ولا يقول لماذا أو أن هذا اللباس لا يليق بي أو أريد تغيير هيئته أو أفصله بطريقة معينة.

٤ ـ وطوال فترة إحرامه يحرم عليه أمورٌ هي حلال في الأصل، تحرم عليه طوال فترة إحرامه ولا يجوز له الزيادة عليها ولا النقصان.

٥ ـ وعندما يصل لبيت الله الحرام يطوف ويسعى سبعة أشواط لا يزيد ولا ينقص، وإلا ترتب عليه فساد حجة، وكذلك لا يجوز له أن يطوف حول ولا بين حجر أو جبل غير ما حدده الشارع له.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب نهي النبي ﷺ على التحريم إلا ما تعرف إباحته (٧٣٩٧)، ومسلم كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام (١٢١٣).

٦ ـ وكذلك يُقَبِّل حجراً ويلمس ركناً، ولا يجوز له أن يتمسح ولا يقبل ولا يعظم غيرهما.

٧ ـ وهو مطالب بالحلق أو التقصير، ولا يقول لقد حلقت في بلدي، أو لماذا أحلق، أو لا أحتاج لذلك، فيفعلَ وهو مطمأن أن هذا من عند الله، وله الحكمة البالغة في ذلك.

٨ ـ ثم بعد ذلك هو مطالب بالذهاب لمنى وعرفات ومزدلفة يجلس فيها أوقاتاً محددة في حدودٍ معينة بصفة معينة، ويعبد الله تعالى فيها بطريقةٍ معينةٍ لا يجوز له الاعتراض على الكيفية، ولا تجاوز تلك الحدود، ولا تلك الأوقات.

٩ ـ ويذهب كل يوم يرمي حجراً بحجرٍ في وقت محدد، وفي مكان محدد، بعددٍ معينٍ، في صورة معينة، ثم بعد ذلك يدعو الله تعالى، يفعل هذا الأمر في عدد محددٍ من الأيام، لا يجوز له كذلك التقليل عنه ولا الزيادة إلا بقدر ما أباح الشارع.

أترى بعد هذه التربية العظيمة وهذا الموسم التدريبي ـ على الاستسلام لله تعالى في الأوامر والنواهي والتزام السنة، وترك البدعة ـ يرجع المسلم وهو مستنكف معترض على أوامر الله تعالى. كلا والله لا يصدر هذا أبداً، إلا من قلب أُشْرِبَ حُبّ الدنيا وإيثارها على الآخرة.

ولكن قد تحصل بعض المخالفات والمعاصي، ولكن بدون إصرار ولا حبُ ولا اعتراض، فهذه يغفرها الله ويكفرها، ولكن فالاعتراض هو المهلك والعياذ بالله.

المبحث الثالث
الحج والتربية على منهجية الوسطية وعدم الغلو في الدين

إن الوسطية والبعد عن الغلو في الدين أمران مهمان جداً في منهج الإسلام الحنيف، والحج مدرسة تربوية منهجية تربي الأمة على أسس الحياة الكريمة البسيطة البعيدة عن التفريط أو الغلو انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال السعدي: «فجعل الله هذه الأمة، وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى»[(١)].

قال سيد: «وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط فهي: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٧٠.

وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال»[1].

ويمكن إبراز ذلك الجانب المهم من خلال الحج في النقاط التالية:

أولاً: النهي عن الغلو الذي يخرج التوكل عن مراده:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

عن ابن عباس ﷺ قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون!! ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾»[2].

قال ابن العربي: «خاطب الله أهل الأموال الذين كانوا يتركون أموالهم ويخرجون بغير زاد ويقولون: نحن المتوكلون»[3].

وقال أبو الفرج الجوزي: «وقد لَبَّس إبليس على قوم يدّعون التوكل، فخرجوا بلا زاد، وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ»[4]. و«قال رجل لأحمد بن حنبل: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد. فقال له أحمد: اخرج في غير القافلة. فقال: لا. إلا معهم. قال: فعلى جرب الناس توكلت»[5].

فالنهي هنا جاء لقوم ما فهموا حقيقة التوكل حتى غلو فيه وأخرجوه عن مراد الله تعالى، إما لهوى في أنفسهم، أو تشديداً على أنفسهم، والأمر

---

(١) في ظلال القرآن ١/١٠٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ (١٥٢٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤١١.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٣/٤٠٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤١١.

متعلق تعلقاً كبيراً بالأخذ بالأسباب كما قال عليه الصلاة والسلام: «**اعقلها وتوكل**»[1].

فلا تغلوا في التوكل حتى يوصلك للقعود وعدم الأخذ بالأسباب، بشرط عدم التعلق القلبي بهذا السبب وأنه هو النافع والضار.

ثانياً: النهي عن الغلو في أمور البر في الحج:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة].

عن البراء ﷺ قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾»[2].

«فكانوا إذا أحرموا بالحج أو العمرة من بلادهم جعلوا من أحكام الإحرام ألا يدخل المحرم بيته من بابه أو لا يدخل تحت سقف يحول بينه وبين السماء، وكان المحرمون إذا أرادوا أخذ شيء من بيوتهم تسنموا على ظهور البيوت أو اتخذوا نقباً في ظهور البيوت إن كانوا من أهل المدر، وإن كانوا من أهل الخيام دخلوا خلف الخيمة، وكان الأنصار يدينون بذلك، وأما الخمس فلم يكونوا يفعلون هذا، والحمس جمع أحمس والأحمس المتشدد بأمر الدين لا يخالفه.

وإنما لم يكن مشروعاً لأنه غلو في أفعال الحج، فإن الحج وإن اشتمل على أفعال راجعة إلى ترك الترفه عن البدن كترك المخيط وترك تغطية الرأس إلا أنه لم يكن المقصد من تشريعه إعنات الناس بل إظهار التجرد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وترك الترفه، ولهذا لم يكن الحمس يفعلون ذلك لأنهم أقرب إلى دين إبراهيم»[1].

قال السعدي: «وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبداً بذلك، وظناً أنه بر. فأخبر الله أنه ليس ببر لأن الله تعالى، لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع.

ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً فالآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود»[2].

ثالثاً: النهي عن الغلو في التقاط حصى الجمرات:

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «**القط لي حصى**» فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا**» ثم قال: «**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[3].

والغلو هو: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى

---

(١) التحرير والتنوير٢/٢٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٣٠٢٩) وصححه الألباني.

التعمق، يقال: غلا في الشيء يغلو غلواً وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة»[1].

ففي الحديث دلالة على أنه لا ينبغي الرمي بالكبار من الحصى أو تعظيمها بغسلها أو تعطيرها لأنه نوع من الغلو.

رابعاً: النهي عن الغلو في السؤال عن أحكام الحج:

عن أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[2].

فهذا الحديث قيل كذلك في الحج تربية للأمة على عدم الأسئلة التي تشق على الأمة وتؤدي إلى الغلو والتشديد على النفس والناس.

خامساً: الحث على الوسطية في الدعاء:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

فالله تعالى لم يأمر عباده بعدم دعائه بأمور الدنيا، ولكن طلب منهم وحثهم على الجمع بين أمور الدنيا والآخرة ليفوزوا بخير الدنيا والآخرة.

---

(١) فتح الباري ٣٥٢/٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧).

فلم يأمر بالدعاء للآخرة فقط أو للدنيا فقط، بل حثَّ عليهما وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

سادساً: النهي عن الغلو في تعظيم أشهر الحج:

كان المشركون لا يرون حل العمرة في أشهر الحج، فعن ابن عباس ﷺ قال: «والله ما أَعْمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجة؛ إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك. فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون إذا عفا الوبر، وبرأ الدبر، ودخل صفر، فقد حلت العمرة لمن اعتمر. فكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم»[(١)].

ولذلك أمر رسول الله ﷺ الصحابة بالتمتع لمن لم يسق الهدي منهم، أي: أن يؤتوا بعمرة في أشهر الحج، لما في فعل المشركين من الغلو.

فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: أهللنا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ في الحج خالصاً ليس معه عمرة، فقدم النبي ﷺ صبح رابعة مضت من ذي الحجة، فلما قدمنا؛ أمرنا النبي ﷺ أن نحل، وقال: «**أحلوا وأصيبوا من النساء**». قال جابر: ولم يعزم عليهم؛ ولن أحلهن لهم. فبلغه أنا نقول لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نحل إلى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المذي، فقام رسول الله ﷺ فقال: «**قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحللت كما تحلون، فحلوا فلو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت**». فحللنا وسمعنا وأطعنا[(٢)].

ومسائل الحج كلها شواهد التوسط وترك الغلو والتساهل في حرمات الله تعالى وشعائره ومشاعره سواء في الجاهلية أو غيرها.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب العمرة (١٩٨٧)، وحسَّنه الألباني.

(٢) تقدم تخريجه.

المبحث الرابع
الحج والتربية على منهج التيسير على الأمة

لقد ظهر منهج التيسير للأمة في كثير من أوامر الشرع وامتاز الحج بكثرة التيسيرات الشرعية، فمبدأ التيسير في الشريعة الإسلامية ظاهر كل الظهور في الحج، مراعاة لأمور كثيرة جداً عَلِمها الله تعالى ومع تغير الزمان واختلاف العصور بدأت تظهر فوائدها على الفرد والمجتمع.

ولبيان منهج الإسلام في غرس مبدأ التيسير من خلال الحج نتطرق للمطالب التالية:

المطلب الأول
تأصيل مبدأ التيسير في الإسلام

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فبيَّن سبحانه أن شريعة محمدٍ ﷺ مبناها على رفع الأغلال والآصار والتيسير عليهم.

ويقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا

﴿حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فبيَّن سبحانه أن رفع الحرج عن المؤمنين وأنه يقبل منهم ما وسعهم وسَهُل عليهم.

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فأخبر أن الغاية من شرعه اليسر ودفع العسر والحرج.

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح].

ومن اللطائف القرآنية أن الله تعالى ختم سورة الحج بقوله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. أي: «ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فَشَقَ عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً»(١).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**»(٢).

وعن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: «ما خُيِّر رسول الله بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه»(٣).

وفي الحج أعلن الرسول ﷺ مبدأ التيسير للأمة فعن أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذروني ما**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٥٥.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٦٦، رقم ٢٢٣٤٥ قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، والطبراني ٨/٢١٦، رقم ٧٨٦٨. قال الهيثمي في المجمع ٥/٢٧٩: فيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا**» وكان يحب التخفيف واليسر على الناس (٦١٢٦).

تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[1].

فقوله ﷺ: «**فأتوا منه ما استطعتم**» قال النووي: «هذا من قواعد الإسلام المهمة، ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام»[2].

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
صور من التيسير في الحج وأعماله

أولاً: التيسير في إيجاب الحج على المستطيع:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال ابن جرير: «واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﷻ: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وما السبيل التي يجبُ مع استطاعتها فرض الحج؟

فقال بعضهم: هي الزّاد والراحلة، وقال آخرون: السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحج: الطاقةُ للوصول إليه. قالوا: وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه: بامتناع الطريق من العدوّ الحائل، وبقلة الماء، وما أشبه ذلك. قالوا: فلا بيان في ذلك أبين مما بيَّنه الله ﷻ، بأن يكون مستطيعاً إليه السبيل، وذلك: الوصولُ إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه، وذلك قد يكون بالمشي وحده وإنْ أعوزَه المركب، وقد يكون بالمركب وغير ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٠٢/٩.

وقال آخرون: السبيلُ إلى ذلك: الصحةُ، وقال آخرون: من وجد قُوّة في النفقة والجسد والحُمْلان.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قولُ من قال: إنّ ذلك على قدر الطاقة. لأن السبيل في كلام العرب: الطريقُ، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانعَ له منه من زَمانه، أو عَجز، أو عدوّ، أو قلة ماء في طريقه، أو زاد، أو ضعف عن المشي، فعليه فرضُ الحج، لا يجزيه إلا أداؤه. فإن لم يكن واجداً سبيلاً أعني بذلك: فإن لم يكن مطيقاً الحجَّ، بتعذُّر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجدُ إليه طريقاً ولا يستطيعه. لأن الاستطاعة إلى ذلك، هو القدرة عليه. ومن كان عاجزاً عنه ببعض الأسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك، فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيلَ»[1].

ثانياً: التيسير في التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر واستلام الحجر وشرب زمزم:

فعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ عند الجمرة وهو يسأل فقال رجل: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي؟ قال: «**ارم ولا حرج**» قال آخر: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر؟ قال: «**انحر ولا حرج**» فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[2].

ثالثاً: التيسير في الوقوف بعرفة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

عدم تمييز نفسه ﷺ عمَّن حج معه حتى في الشراب، فعن ابن عباس ﷺ قال: أن النبي ﷺ طاف بالبيت وهو على بعيره واستلم الحجر

---

(١) جامع البيان ٦/٣٦ ـ ٤٥ مختصراً.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار (١٢٤). ومسلم كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي (١٣٠٦).

بمحجن كان معه، وأتى السقاية فقال: «**اسقوني**» فقالوا: إن هذا يخوضه الناس، ولكنَّا نأتيك به من البيت، فقال: «**لا حاجة لي فيه، اسقوني مما يشرب منه الناس**»[(١)].

«أجمع العلماء: على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، لما روي عن عبدالرحمٰن بن يعمر أنه قال: أن رسول الله ﷺ أمر منادياً ينادي: «**الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك**»[(٢)].

ويرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر يوم العاشر، وأنه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً، إلا أنه إن وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب، أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شيء»[(٣)].

رابعاً: التوسعة على الناس في مكان أداء النسك:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾.

عن جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**نحرت هاهنا ومنى كلها منحر؛ فانحروا في رحالكم. ووقفت هاهنا وعرفة كلها موقف؛ ووقفت هاهنا وجمع كلها موقف**»[(٤)].

قال النووي رحمه الله: «في هذه الألفاظ بيان رفق النبي ﷺ بأمته وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم فإنه ﷺ ذكر لهم الأكمل والجائز فالأكمل موضع نحره ووقوفه، والجائز كل جزء من أجزاء المنحر وجزء من أجزاء عرفات، وخيرهن أجزاء المزدلفة»[(٥)].

---

(١) مسند أحمد ٢١٤/١ (١٨٤١) قال شعيب الأرناؤوط: صحيح.
(٢) جامع الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٨٨٩) وصححه الألباني.
(٣) فقه السنة ٧١٩/١.
(٤) صحيح البخاري ومسلم، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف (١٢١٨).
(٥) شرح النووي على مسلم ١٩٥/٨.

خامساً: التيسير في البيات في مزدلفة:

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾.

«فالمبيت بمزدلفة عند الشافعية والحنابلة واجب ولو لحظة، بشرط أن يكون ذلك في النصف الثاني من الليل بعد الوقوف بعرفة، ولا يشترط المكث، بل يكفي مجرد المرور بها.

أما عند الحنفية: فيجب الوقوف بمزدلفة بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وعليه أن يقف في ذلك الوقت ولو لحظة.

وعند المالكية: النزول بمزدلفة بقدر حط الرحال»[1].

سادساً: التيسير على المحصر وفدية الإحصار:

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ أي: «صُدِدْتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما»[2].

فالتيسير هنا في أمرين:

١ ـ في أنه لم يطالب المحصر بما لا يستطيع من إكمال الحج أو العمرة والبقاء على الإحرام.

٢ ـ التيسير في الفدية: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

٣ ـ التيسير بالاشتراط لمن خاف الإحصار، فعن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ على ضباعة بنت الزبير فقال لها: «**لعلك أردت الحج**» قالت: والله لا أجدني إلا وجعة. فقال لها: «**حجي واشترطي وقولي**

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٠٨/١١ ـ ١٠٩ باختصار.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٣٠/١.

اللهم محلي حيث حبستني»[1].

سابعاً: التيسير في كفارة محظورات الإحرام الملاصقة للإنسان:

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

عن عبدالله بن معقل قال: جلست إلى كعب بن عجرة ﷺ فسألته عن الفدية؛ فقال: نزلت في خاصة وهي لكم عامة، حملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: «**ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى تجد شاة؟**». فقلت: لا. فقال: «**فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع**»[2].

والتيسير هنا في ثلاثة أمور:

١ ـ أنه لم يلزم الذي به الأذى أن يبقى على أذاه.

٢ ـ أن الكفارة على التخيير وليست على الترتيب.

٣ ـ التنوع في الكفارة، لتناسب المكفرَ ومن يستفيدُ من الكفارة.

ثامناً: التيسير في هدي التمتع:

قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وهنا التيسير في أمور:

١ ـ إعطاء فرصة لكي يستطيع الحاج أن يؤدي عمرة مع حجة في أشهر الحج، ويكون متمتعاً لأن المشركين قبل الإسلام كانوا يحرمون ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين (٥٠٨٩)، ومسلم كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر (١٢٠٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب الإطعام في الفدية نصف صاع (١٨١٦).

٢ ـ التيسير في نوعية الهدي: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾.

٣ ـ رفع المشقة عن من لم يجد الهدي أن يصوم عشرة أيام.

٤ ـ التيسير على من سيصوم أن لا يكون كله في الحج بل ثلاثة أيام في الحج فقط، والباقي إذا رجع إلى أهله.

تاسعاً: ما من نسك من أنساك الحج إلا وله قضاء أو كفارة سوى الأركان:

فمن خلال النظر في محظورات الإحرام نجد أن من ارتكب واحد منها فعليه الكفارة، إلا الجماع قبل التحلل الأول ففاعله يبطل حجه وعليه الحج العام المقبل، وعليه إتمام حجه الفاسد.

وكذلك من ترك واجباً من واجبات الحج فعليه الكفارة كذلك، وهذا من تخفيف الله سبحانه وتعالى وإلا لوجد الناس مشقة كبيرة لكثرة ما يحصل من الخطأ والنسيان والظروف التي تطرأ على الإنسان أثناء الحج.

عاشراً: التيسير في استخدام الدواب في الحج وألاَّ يشق المسلم فيحج ماشياً:

قال مجاهد: «كانوا لا يركبون فأنزل الله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧]، فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر»[(١)]. والضامر: هي الإبل[(٢)].

وقد يكون صحيحاً أن الأجر على قدر المشقة، لكن قد تكون هذه المشقة سبباً في عدم إكمال المناسك، وقد تستفرغ طاقة الحاج فلا يقوى بعد ذلك على الذكر والدعاء.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) جامع البيان ٦٠٨/١٨.
(٢) المرجع السابق.

الفصل الخامس
التربية الأخلاقية في الحج

تمهيد:

الأخلاق أساس من الأسس التي أرسل بها جميع الأنبياء، ورسالة رسولنا محمد ﷺ تضمنت اهتماماً خاصاً بهذا الجانب، فقد امتنَّ الله على هذه الأمة بأن بعث فيها رسولاً يهتم بتربيتهم أولاً قبل تعليمهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(١)]، وفي رواية: «**صالح الأخلاق**»[(٢)].

ونجد أن كل أصول العبادات تعالج الأخلاق، ففي الصلاة: يقول الله

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٠٤/(١٦٠٩)، والحاكم في المستدرك ٢/٦٧٠/(٤٢٢١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٨١/٨٩٣٩، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وفي الزكاة يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفي الصوم يقول ﷺ: «**وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم**»(١).

وفي الحج يقول تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي هذا الفصل سنفصل الحديث عن الحج وأثره في غرس الأخلاق وتنميتها عند المسلمين، ونبذ الأخلاق السيئة. وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الحج وتعميق الأخوة.

المبحث الثاني: تربية الحج المسلمين على تنمية الأخلاق الذاتية:

أولاً: التربية على خلق العفاف.

ثانياً: التربية على خلق الرفق والسكينة.

ثالثاً: التربية على خلق التواضع.

رابعاً: التربية على خلق الصبر.

خامساً: التربية على خلق البذل والسخاء.

سادساً: التربية على خلق الزهد والقناعة.

سابعاً: التربية على خلق الوفاء.

المبحث الثالث: الحج ومبدأ الوحدة بين المسلمين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم (١٩٠٤)، ومسلم كتاب الصيام، باب فضل الصيام (١١٥١).

المبحث الرابع: التربية على القيم الإسلامية:

أولاً: التربية على قيمة الوقت.

ثانياً: التربية على قيمة النظام والانضباط.

ثالثاً: التربية على قيمة الإتقان.

رابعاً: التربية على قيمة النظافة.

المبحث الخامس: النهي عن الأخلاق السيئة:

المطلب الأول: النهي عن الفسوق.

المطلب الثاني: النهي عن الجدال.

المطلب الثالث: التحذير من شهادة الزور.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الأول
الحج وتعميق الأخوة

يحرص الإسلام على تكوين مجتمع أخوي مترابط يرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات، والحج يقوم بدور كبير بتعميق تلك الأخوة بين الحجاج بل وبين من لم يحج عندما يرى هذا الجمع الغفير وما بينه من تواصل وتناغم.

ويمكن بيان أشكال تعميق الأخوة في الحج من خلال االنقاط التالية:

أولاً: تنمية التعارف بين المسلمين

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات].

«يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل

أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ففي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل ذلك»[1].

والحج أكبر مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون من كل مكان ومن كل فج عميق، ولذلك يجب أن يكون التعارف بين الأقطار والبلدان هدفاً استراتيجياً لكل من يأتي.

ولا يمكن أن يجد المسلمون فرصة أفضل من هذه الفرصة ليتعرفوا على بعضهم بأسلوب يجمعهم على الخير ويساعد على تواصلهم ونصرتهم لبعضهم.

فيجب على الحجاج أن يتعارفوا ليتحابوا بروح الله تعالى كما قال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[2].

فلن يستشعر المسلمون معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينهم إلا إذا تعرفوا على شؤون ومشكلات وإمكانيات بعضهم ليقوموا بواجب الاستخلاف في الأرض.

ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ عندما تعرف على الستة نفر القادمين من المدينة المنورة والذين كانوا نواة الدولة الإسلامية كانت هذه الحادثة في موسم الحج، فمن هنا نرى أن الحج فرصة قوية للنهوض مرة أخرى بعد الكبوة التي صار المسلمون فيها الآن.

❁ ❁ ❁

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٠٢.
(٢) صحيح البخاري، باب الأرواح جنود مجندة (٣٣٣٦).

ثانياً: تنمية التآلف بين المسلمين

بعد التعارف يأتي التآلف قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال]. قال ابن كثير: «أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك»[1].

وهذا التآلف الذي ينشده لا يقل أهمية على التعارف فهو ركن من أركان بناء الأخوة بين المسلمين، فبعد التعارف لا بد أن يجتمع المسلمون على أساس متين يوحد قلوبهم ومشاعرهم واتجاهاتهم حتى يقوموا بالنصرة لبعضهم بدلاً من الفرقة والتناحر والشقاق.

وركن الحج مما يدرب على هذا التآلف ومن ذلك:

أولاً: فكما خرجوا متفقين من بلدانهم على المقصد واتفقوا في الشعائر والأعمال، فهو تدريب لهم على التآلف على ما ينفعهم جميعاً، ويصلح أحوالهم.

ثانياً: تراهم في الزحام الشديد لا ينزعج أحد من أحد ولا يعبس أحد في وجه أحد دليل أن ما بينهم من الإلف القلبي الشيء الكثير، فهو تدريب عملي كذلك على المتابعة على هذا الإلف حتى بعد انقضاء الحج.

ثالثاً: لغة التفاهم الصامتة في كثير من الأحيان ـ وخصوصاً مع اختلاف اللغات ـ وما تجد فيها من ابتسامة وملاطفة وسعادة بين الحجاج.

رابعاً: نوم الحجاج ومعايشتهم مع بعضهم في مكان واحد محدود لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام جديرة بأن تنمي فيهم روح التآلف.

❋ ❋ ❋

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٨٤.

ثالثاً: تنمية التكافل بين المسلمين

وهذا الأمر يترتب على سابقيه، فلن يحصل تكافل إلا إذا كان هناك تآلف وتعارف بين المسلمين، لن يحصل التكافل إلا إذا تعرف المسلم على أخيه وعرف احتياجاته ومتطلبات حياته، وجوانب الشراكة التي تساعد على تأمين احتياجات المسلمين.

ويمكن إبراز هذا الجانب في الحج من خلال نطقتين:

الأولى: بين الله تعالى أن مكة مركز اقتصادي كبير:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص].

فهذا المركز الاقتصادي لا بد أن يستفيد المسلمون منه، وخصوصاً في هذا الموسم ولذلك نبه الله تعالى حجاجه على هذه النقطة فقال: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٨].

فبناء نظام اقتصادي تكافلي بين المسلمين هو مقصد من مقاصد الحج في وقت الحج وفيما بعده، يقول الدكتور حسين شحاته: «الحج يربي المسلمين على بناء وحدة اقتصادية، فمن بين المنافع المأمولة من موسم الحج التنمية الاقتصادية للأمة الإسلامية، ومن بين أساليبها زيادة المعاملات بكافة صورها بين المسلمين حتى تكون خيرات المسلمين للمسلمين، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تطبيق مفاهيم وأسس وآليات السوق الإسلامية المشتركة والتي وضع بذرتها وقواعدها رسول الله ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة وبقيت للمسلمين سوقهم، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون ﷺ ومن ساروا على نهجهم من الأمراء والرؤساء والخلفاء الصالحين الملتزمين بشرع الله.

واقع المعاملات الاقتصادية بين العالم الإسلامي!

ويرجع ضعف المعاملات الاقتصادية بين دول العالم الإسلامي إلى أسباب شتى منها ضعف رابطة الأخوة والحب والود والتكافل والتضامن والإيثار بين المسلمين، بالإضافة إلى التشرذم والاختلاف.

ويعتبر موسم الحج أكبر تجمع تشهده بقعة من بقاع الأرض، وهذا التجمع فرصة لتحقيق العديد من المنافع ومنها تفعيل المعاملات الاقتصادية على مستوى حكام دول العالم الإسلامي، وعلى مستوى رجال الأعمال، وعلى مستوى المستهلك المسلم، حتى ينتفع المسلم من أخيه المسلم.

إن تفعيل دور موسم الحج في تنمية العلاقات الاقتصادية بين دول العالم الإسلامي سوف يجنى منه العديد من الثمرات سواء على نطاق الفرد أو المجتمع أو الدولة أو الكيان العالمي للمسلمين[1].

الثانية: أمر المسلمين بالعناية بالفقراء:

تعاهد المسلمين لبعضهم بالسؤال والبر، والمبادرة إلى مساعدة بعضهم بعضاً، مظهر من مظاهر الحج الذي يغرسه الحج في نفوس المسلمين، قال تعالى عن لحوم الهدي وكيفية الاستفادة منها لبناء التكافل بين المسلمين: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

❋ ❋ ❋

رابعاً: تنمية روح التناصر بين المسلمين

الحج يذكرنا بالجهاد ولذا جاءت آيات الجهاد في السورة بعد آيات الحج قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ

(١) انظر مقال بعنوان: موسم الحج وبناء السوق الإسلامية المشتركة ـ دكتور حسين شحاتة على موقعه على الشبكة العنكبوتية بتاريخ: ٢٠٠٥/١٢/٢٦.

كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

وفي سورة البقرة جاءت آيات الجهاد بين آيات الحج قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

وكما هو معلوم أن الجهاد على نوعين: جهاد دفع، وجهاد طلب. وكلاهما يمثلان التناصر بين المسلمين لنصرة بعضهم بعضاً ولنصرة ولتمكين دينهم في الأرض.

والآيات التي تتحدث عن الجهاد ضمن آيات الحج تركز على جانب جهاد الدفع، أي: جهاد التناصر بين المسلمين ودفع الأعداء عنهم قال ابن كثير عن آية البقرة: «هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عَمَّن كف عنه»[1].

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الحج جهاد فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: جاء

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٢٣.

رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني جبان وإني ضعيف؟ فقال النبي ﷺ: «**هلموا إلى جهاد لا شوكة فيه الحج**»[1]. فكأن النبي ﷺ يقول للرجل حج لكي تتعلم وتتربى على الجهاد.

ويمكن استنباط بعض الحكم من وجود آيات الجهاد ضمن آيات الحج ومنها:

١ ـ الامتثال في تنفيذ أوامر الله تعالى في الحج، والجهاد يحتاج إلى ذلك الامتثال في السمع والطاعة، المعبر عنه في الجهاد بالجندية.

٢ ـ التضحية التي يبذلها الحاج سواء بالمال أو الوقت أو الجهد، وكذلك الجهاد يحتاج إلى تلك التضحية بكل أنواعها.

٣ ـ الحياة الخشنة التي يعيشها الحجاج خلال فترة الحج تربيهم على الجهاد، فالمرابطة على الثغور والعيش في أماكن الجهاد لا يتحملها إلا من درب نفسه عليه، واستعد نفسياً لها والحج مدرسة تدريبية على ذلك.

٤ ـ الارتحال الدائم في الحج من مكان لآخر يربي المسلمين على الجهاد، لأن الجهاد ينطلق من ثغرة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر ومن عدو إلى آخر فحياة الجهاد حياة غير مستقرة يقوم الحج بالتربية عليها.

٥ ـ في الحج تجييش للأمة للإقبال على الله تعالى، فكل بلد ترسل من يستطيع الحج ليسقط الواجب عنه، والجهاد كذلك تجييش للأمة لكي تتناصر وتدافع وتنشر دينها، وترفع الظلم عن المسلمين الذين لا يجدون حريتهم الدينية.

٦ ـ الحج يعتبر ميدان من ميادين التربية الإيمانية للمسلم، والجهاد يحتاج لتلك التربية الإيمانية كذلك.

٧ ـ في الحج إعلان العداوة للشيطان عن طريق رمي الجمرات، والجهاد هو إعلان للعداوة على شياطين الإنس الذين يظلمون الناس

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٠٩/٤ (٤٢٨٧). قال الهيثمي (٢٠٦/٣): رجاله ثقات.

ويريدون أن ينتزعوا منهم حريتهم وهويتهم الإسلامية.

٨ ـ أمر النبي ﷺ الصحابة بفعل بعض الأعمال التي تظهر قوة المسلمين وجلدهم ومنها:

أ ـ أمر الصحابة بالرمل في الثلاثة أشواط الأولى من الطواف وكذلك في كل شوط في السعي بين الصفا والمروة عند الوادي:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ مكة وقد وهنتهم حمى يثرب، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شراً فأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ما قالوه فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين فلما رأوهم رملوا؛ قالوا: هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد منا»[(١)].

وعنه رضي الله عنه قال: «إنما سعى رسول الله ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ليري المشركين قوته»[(٢)].

ب ـ سنة الاضطباع في الطواف لبيان القوة وإظهار الجَلَدْ:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أطأ الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا نترك شيئاً كنا نصنعه مع رسول الله ﷺ»[(٣)].

قال ابن خزيمة: «باب ذكر الدليل على أن السنة قد كان يسنها النبي ﷺ لعلة حادثة فتزول العلة وتبقى السنة قائمة إلى الأبد إذ أن النبي ﷺ إنما رمل في الابتداء واضطبع ليرى المشركين قوته وقوة أصحابه فبقي الاضطباع والرمل سنتان إلى آخر الأبد»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل (١٦٠٢)، ومسلم كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة (١٢٦٤).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة (١٦٤٩).
(٣) صحيح ابن خزيمة ٤/٢١١ (٢٧٠٨).
(٤) صحيح ابن خزيمة ٤/٢١١.

قال ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم عن ابن عباس ﷺ قال: صفوا له عند دار الندوة ـ أي: المشركون ـ لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: «**رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة**»[1].

وعلى ذلك فالله تعالى كأنه يقول لنا: لقد فرضت عليكم الحج فحجوا وتعلموا من الحج الجهاد من مناسكه وأحكامه، ولا تنظروا إلى أعمال الحج التي كلفتكم بها نظرة من يطبق طقوس معينة جوفاء لا معنى لها.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٧٠، وابن كثير في السيرة ٣/٤٣٠.

المبحث الثاني
تربية الحج المسلمين على تنمية الأخلاق الذاتية

الحج ينمي أصول الأخلاق التي يتزين بها الفرد المسلم بين مجتمعه، بل ويدخل بها ـ بإذن الله تعالى ـ الجنة، ومن تلك الصفات التي يربي الحج عليها المسلمين:

المطلب الأول
التربية على خلق العفاف

فالحج يربينا على العفة بأنواعها، ومنها:

أولاً: العفة عن شهوة الفرج:

كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالرفث: هو الجماع ودواعيه من القول والفعل، قال ابن كثير: «من أحرم بالحج أو العمرة، فليجتنب الرفث، وهو الجماع، وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك، وكذا التكلم به بحضرة النساء»[(١)].

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٤٣.

فالذي يتعود ترك الجماع الحلال وهو مُحْرِمٌ، فمن باب أولى أن يمتنع عن شهوة الفرج الحرام سواء حال الإحرام أو غيره.

ثانياً: العفة عن شهوة المال:

وذلك بالتنبيه على أمور:

١ ـ أن لا يكون الإنسان عالة على غيره في النفقة:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

عن ابن عباس ﷺ قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[(١)]. وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[(٢)].

فالآية ترشدنا إلى أن الإنسان لا بد أن يكون عفيفاً عزيز النفس عن مال الغير ولا ينتظر أحد أن ينفق عليه من ماله حتى ولو كان على أمر عبادة.

٢ ـ النهي عن أخذ لقطة الحرم:

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها**»[(٣)].

«فلقطة الحرم لها ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: أن يأخذها للتملك من الآن، فهذا حرام.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحرم (١٥٧٨)، مسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها (١٣٥٣).

الحالة الثانية: أن يأخذها للتملك بعد الإنشاد، فهذا حرام.

الحالة الثالثة: أن يأخذها للإنشاد على الدوام، فهذا جائز»[1].

ففي هذا تربية للمسلمين على أن لا تمد أيديهم على المال الذي فقده صاحبه، مع أن الإنسان لو وجد لقطة ثم عَرَّفَها ولم يجد صاحبها بعد مرور المدة المحددة شرعاً فله أن يمتلكها، ولكن في الحرم لا يجوز ذلك إلا أن يعرفها طيلة عمره.

٣ ـ النفقة في الحج لا بد أن تكون من حلال:

فقد ورد في قصة بناء الكعبة: أن قريشاً قَصُرَت بها النفقة الطيبة عن إتمام البناء على قواعد إسماعيل، فأخرجوا منها الحِجر، وبنوا عليه جداراً قصيراً دلالة على أنه منها؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم «أن لا يدخل في بنائها إلا نفقة طيبة، ولا يدخلها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد»[2].

فالإنسان وهو يطوف حول البيت العتيق ويرى هذا الجزء من الكعبة الذي لم يكتمل بناؤه ـ ويعلم سبب عدم اكتمال ذلك البناء ـ وهو أن الله تعالى لم يرض أن يدخل في بناء بيته أي مال حرام، وكان الكفار يعلمون ذلك، وهذا فيه إشارة أنه لا بد على المسلم أن يتحرى الحلال ويَعِفَّ عن الحرام لكي يتقبل الله تعالى منه عمله.

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
التربية على خلق الرفق والسكينة

أمر النبي ﷺ الناس بالرفق والسكينة في السير وأداء الشعائر ومن ذلك:

---

(١) إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام ٦٦/٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١٩٤/١.

أولاً: الرفق والسكينة في خروجه من المدينة ومبيته في ذي الحليفة:

فقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه باباً بعنوان من بات بذي الحليفة حتى أصبح، وذكر تحته حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: صلى النبي ﷺ بالمدينة أربعاً وبذي الحليفة ركعتين ثم بات حتى أصبح بذي الحليفة فلما ركب راحلته واستوت به أهل»[(١)].

قال ابن حجر: «والمراد من هذه الترجمة مشروعية المبيت بالقرب من البلد التي يسافر منها ليكون أمكن من التوصل إلى مهماته التي ينساها مثلاً، قال ابن بطال: ليس ذلك من سنن الحج، إنما هو من جهة الرفق ليلحق به من تأخر عنه»[(٢)].

فتأخر النبي ﷺ وسكينته وعدم استعجاله بالسفر حصلت به مصلحتان:

الأولى: إنهاء مهمات قد يكون نساها.

والثانية: ليلحق به من تأخر من المسلمين.

ثانياً: الرفق والسكينة بالمسلمين في الرمل:

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم»[(٣)].

قال ابن حجر: «والمعنى لم يمنعه من أمرهم بالرمل في جميع الطوفات إلا الرفق بهم»[(٤)]. وبقي ذلك سُنَّةً لكل حاجٍّ ومعتمرٍ في أول طوافٍ له بالبيت.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من بات بذي الحليفة حتى أصبح (١٥٤٦).
(٢) فتح الباري ٣/٤٠٧.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل (١٦٠٢).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل (١٦٠٢).

ثالثاً: الرفق والسكينة في النفر من عرفة:

فقد ثبت عن النبي ﷺ عندما سمع زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل في الدفع من مزدلفة: «**أيها الناس: عليكم بالسكينة؛ فإن البر ليس بالإيضاع**»[(١)]، وكان ذلك في حجة الوداع.

فقوله ﷺ: «**عليكم بالسكينة**»، أي: في السير والمراد السير بالرفق وعدم المزاحمة. «**فإن البر ليس بالإيضاع**»، أي: السير السريع، فبين ﷺ أن تكلف الإسراع في السير ليس من البر، أي: مما يتقرب به، ومن هذا أخذ عمر بن عبدالعزيز قوله لما خطب بعرفة: ليس السابق من سبق بعيره وفرسه ولكن السابق من غفر له.

وقال المهلب: إنما نهاهم عن الإسراع إبقاء عليهم لئلا يجحفوا بأنفسهم مع بعد المسافة»[(٢)].

وقال النووي: «أي: الزموا السكينة وهي الرفق والطمأنينة ففيه أن السكينة في الدفع من عرفات سنة»[(٣)].

«والأمر بالسكينة وصية يُستشعر منها معانٍ عظيمة منها: الهدوء، والنظام، والطاعة، ومراعاة حقوق الآخر، ومراعاة جلال الموقف؛ وذلك من خلال سمات المنهج الذي يربي أتباعه على النظام والطاعة، وعدم التخلق بأخلاقيات الغوغائيين التي تبرز دوماً مع أي تجمعات كبيرة»[(٤)].

فلو أن النبي ﷺ سمح لهم بالمشي السريع لوصلوا إلى مزدلفة وهم متعبين فلن يقيموا الصلاة كما يريد الله تعالى، كما أنه لا حكمة من العجلة

---

(١) فتح الباري ٥٠٩/٧.
(٢) فتح الباري ٥٢٢/٣.
(٣) شرح النووي على مسلم ١٨٦/٨.
(٤) الأبعاد التربوية في الحج ٢٣.

في الإسراع إلى مزدلفة، والنبي ﷺ يقول: «**ما كان الرفق في شيء قط لا زانه ولا عزل عن شيء إلا شأنه**»[(١)].

وهذا المنهج النبوي الكريم هو منهج الله في تربية الأمة فقد قال الله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. أي: «امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين»[(٢)]، فالقصد في المشي هو: «ما بين الإسراع والبطء، أي: لا تَدُبَّ دبيب المتماوتين، ولا تَثِبَ وثوب الشُطَّار»[(٣)].

وقد مدح الله سبحانه وتعالى الذين يمشون على الأرض هوناً، وهم عباده، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان] «فهم يمشون في حياتهم هوناً، أي: في سكينة ووقار»[(٤)].

خامساً: الرفق في النهي عن المنكر والبعد عن التوبيخ:

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «فقد كان الفضل رضي الله عنه رديف النبي ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»[(٥)]، فلم يوبخ النبي ﷺ الفضل رضي الله عنه، ولكن نهاه عن النظر إلى الأجنبيات بطريقة عملية. وهكذا كان مع كل من سأله عن شيء في الحج، أو لاحظه ﷺ.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٦/٦ (٢٥٧٥٠) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٩/٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧١/١٤.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦٨/١٣.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله (١٤٤٢).

المطلب الثالث
التربية على خلق التواضع

وتبرز التربية على خلق التواضع في الحج من خلال النقاط التالية:

أولاً: أشار الله تعالى في كتابه إلى التواضع ضمن آيات الحج:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج]. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: قال الضحاك وقتادة: المتواضعين[1].

«فالمِخْبِت: المتواضع الذي لا تكبُّر عنده. وأصل المخبت مَن سلك الخَبْت. وهو المكان المنخفض ضد المصعد، ثم استعير للمتواضع كأنه سلك نفسه في الانخفاض، والمراد بهم هنا المؤمنون، لأنّ التواضع من شيمهم كما كان التكبّر من سمات المشركين قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر][2].

ثانياً: حديث النبي ﷺ عن التواضع في حجة الوداع:

وقد كان من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع: «**يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٢٤.

(٢) التحرير والتنوير ٩/٣٤٩.

بالتقوى»[1].

ثالثاً: هيئة الناس في الحج تُرَبِّي على التواضع:

إنّ هيئة الحجاج من حيث اللباس والأماكن التي يتواجدون فيها ويبيتون فيها تُربيهم على التواضع، فالكل يلبس لباساً واحداً، ويعمل نفس الأعمال، ويتخفف من الحياة الفاخرة، وينام نوم الضعيف.

وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أن الآخرة ونعيمها لا يفوز بها إلا المتواضعين في الدنيا قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، أي: «أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض، أي: ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم، ولا فساداً فيهم»[2].

رابعاً: نماذج نبوية للتواضع في الحج:

١ ـ حجه ﷺ على رحل رَثٍّ وقَطِيْفَةٍ لا تكاد تساوي أربعة دراهم[3].

٢ ـ إردافه ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما من عرفة إلى مزدلفة أمام الخلق وهو من الموالي[4].

❋ ❋ ❋

(١) مسند أحمد ح(٣٨٢٩)، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (١٩٧٧)، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٥٨.

(٣) سنن ابن ماجه (٢٨٩٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٥٤٤).

المطلب الرابع
التربية على خلق الصبر

يمكن إجمال مظاهر التربية على الصبر في الحج في النقاط التالية:

أولاً: الحج يربي المسلم على الصبر على شدة التكاليف وتنفيذها:

وهذا يظهر في كل أعمال الحج حيث أن الحجاج يقومون بأعمال غير معتادين عليها، وينامون ويتحركون بصعوبة بالغة.

ويظهر ذلك بجلاء في مواقف عديدة، منها: عندما يذبح الحاج هديه وهو يتذكر موقف أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهو ينفذ أمر ربه في ذبح ابنه بصبر وثبات على الطاعة ليس له مثيل، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

قال ابن جزي: «لم يشاور إبراهيم ابنه ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر»[(١)].

ولذا قال الشوكاني عند قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم]. قال: «لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به»[(٢)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٣٠.

(٢) فتح القدير ٤/٥٧٣.

فهذان نموذجان في وقت واحد نموذج الوالد وولده يتلقيان الأمر بكل طاعة وتسليم لله تعالى. وهذا من أعظم الأمثلة في الصبر على طاعة الله تعالى. فهل نصل نحن إلى هذه الدرجة أن نضحي بأنفسنا وأهلنا في سبيل الله.

فإذا علم العبد مدى الصبر الذي كان عند إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في طاعة الله تهون عليه كل طاعةٍ وجد فيها مشقةً وتعباً.

ثانياً: الحج يربي المسلم على الصبر عن معصية الله تعالى:

ويتضح ذلك من خلال أمور:

١ ـ الحج لا يكون مقبولاً إلا إذا كان مبروراً ومن بِرِّ الحج الكف عن المعاصي فيتربى المسلم على الصبر بالحذر الشديد من الوقوع في معصية الله تعالى لكي يتقبل الله تعالى حجه.

٢ ـ فالإنسان في الحج يتربى على ترك الحلال المألوف بأن لا يقرب محظورات نبه الله عليها في كتابه وبينها رسوله ﷺ في سنته، كالصيد والأخذ من شعر الرأس، والجماع وغيرها... فكما أن الإنسان ترك الحلال في فترة معينة وصبر على هذا التحريم فمن باب أولى أن يترك المحرمات تماماً.

٣ ـ من المعلوم أن الذنب في مكة مضاعف، وهذا يربي المسلم على ترك المعاصي زمن الحج وهي فترة طويلة يقضيها الحاج داخل مكة يحاول الحاج فيها أن لا يرتكب إثماً لأنه داخل منطقة الحرم.

ثالثاً: الحج يربي المسلم على الصبر على الناس:

فالحاج يواجه في حجه أموراً كثيرة تحتاج إلى الصبر على الناس، مثل: الصبر على الزحام، والصبر على الثقافات المختلفة التي تحضر للحج وتقوم بأعمال يستغربها كثير من الناس، وكذلك الصبر على مساعدة الناس وإرشادهم ودعوتهم وتوجيههم.

ورسول الله ﷺ هو القدوةُ العظيمةُ لنا في الصبر على الناس، وخصوصاً في الحج، حيث أنه قد حَجَّ معه جمعٌ كثيرٌ وكان يُفتي ويُعلم ويُساعد الناس.

وهذا جانب مهم جداً يحتاجه الدعاة إلى الله في تعليمهم للناس وخصوصاً إذا تنوعت مشاربهم وبلدانهم وثقافاتهم، فعلى الداعية أن يجعل من الحج نقطة انطلاق له في الصبر على الناس، ومشاق الدعوة الكثيرة وما تحتاجه من خلطة بالناس.

❋ ❋ ❋

المطلب الخامس
التربية على خلق البذل والسخاء

يمكن إبراز هذا الجانب في الحج في النقاط التالية:

أولاً: الحثُّ على ذبح الهدي وإطعامه:

قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج].

فاسْتَنَّ سبحانه على عبادة بالهديُ، وحثَّهم على الأكل والإطعام منها.

قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج]. فسماها شعائر الله، وبيَّن أن فيها خيرٌ لهم، وبيَّن أنه سخرها لهم للأكل والبذل والإطعام..

ثانياً: الترغيب في نفقة الحج:

من المعلوم أن الذي ينوي الحج يعلم علم اليقين أن سينفق أموالاً كثيرة كلها في سبيل الله تعالى ولذلك نجد أن النبي ﷺ نبه في سنته أن الله تعالى يعوض عن هذه النفقة الكثير من الخير في الدنيا والآخرة.

عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**النفقة في**

الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف»[(١)].

وعن جابر بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**». قيل: وما بره؟ قال: «إطعام الطعام وطيب الكلام»[(٢)].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة**»[(٣)].

ثالثاً: نموذج نبوي في التربية على البذل في الحج:

فقد ثبت من حديث جابر بن عبدالله ﷺ المتقدم أن النبي ﷺ نحر مائة من الإبل قال جابر: «ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده. ثم أعطى علياً فنحر ما غبر، وأشركه في هديه. ثم أمر من كل بُدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها»[(٤)].

وعن علي ﷺ: أن النبي ﷺ أمره أن يقوم على بُدْنِهِ وأن يَقْسِمَ بُدْنَهُ كلها لحومها وجلودها وجلالها في المساكين[(٥)].

وهذا من كرمه وسخائه ﷺ، وهو تعليمٌ لأمته أن يكونوا على هذا الهدي القويم.

❀ ❀ ❀

(١) مسند أحمد ٥/٣٥٤ (٢٣٠٥٠)، قال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٦٥٨ (١٧٧٨)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وأبو نعيم في الحلية ٣/١٥٦. وقال الهيثمي في المجمع ٣/٢٦٦: وإسناده حسن.

(٣) جامع الترمذي، كتاب الصوم، باب ثواب الحج والعمرة (٨١٠) وحسنَّه الألباني.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب يتصدق بجلود الهدي (١٧١٧)، ومسلم كتاب الحج، باب في الصدقة بلحوم الهدي وجلودهم وجلالها (١٣١٧) واللفظ لمسلم.

المطلب السادس
التربية على خلق الزهد والقناعة

يتربى المسلم في الحج على الحياة البسيطة، وليس هذا فحسب؛ بل يصل بذلك إلى مرحلة القناعة باليسير، وهذا من مقاصد الحج، فقد ورد أنه قال رجل للحسن: يا أبا سعيد ما الحج المبرور؟ قال: «أن ترجع زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة»[(١)].

ويتضح ذلك في نقطتين:

أولاً: الزهد والقناعة في اللباس:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا يلبس القُمُصَ ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف، إلا أحدٌ لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه الزعفران أو ورس**»[(٢)].

فالمحرم مأمور بأن يرتدي لباساً من قطعتين، وهاتان القطعتان تكفيه، بل إن القطعتين هاتين ليستا مفصَّلَتين على الجسم، بل إنهما وضعتا لستر الجسم، وإذا لبس المحرم غيرهما فقد ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام. وأيضاً لا يلبس في قدميه إلا ما يكفيه أذى الطريق.

وبهذه الهيئة يتربى المسلم على الزهد والقناعة، وأن أي شيء من اللباس يكفيه، وأن الإنسان لن يخرج من هذه الدنيا إلا بمثل هذا اللباس، فلا داعي للإغراق فيها والسعي والجري خلفها، إلا بما يحتاج الإنسان وما تحتاجه أمته.

---

(١) الدر المنثور ٥٦٨/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما لا يلبس المحرم من الثياب (١٥٤٢).

ثانياً: الزهد والقناعة في المسكن:

فنجد أن الحاج يتنقل بين الأماكن، ولا تجده يستقر في مكان يرتاح فيه كما هو في بيته، فتجده في منى يوم التروية، ثم ينتقل إلى عرفات ويجلس فيها النهار، ثم تجده يبيت في مزدلفة، ثم يرجع إلى منى مرة أخرى. ويسكن في مكان بقدر نومه على الأرض بعيداً عن الأسرة والفرش الناعمة.

فهذا كله يربيه على القناعة والزهد وأن الإنسان يستطيع العيش في الحياة الدنيا بأقل الموجود، ويتأقلم على أي وضع كان.

ثالثاً: الزهد والقناعة بتربية النفس على ترك المألوف:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله**»[(١)].

فالمسلم قبل الحج قد لا يستطيع أن ينام على الأرض، ولا أن يظل بضعة أيام بلباس تصعب فيه الحركة، ولكنه في الحج يترك ذلك المألوف، فيعطيه ذلك دفعة إلى ترك كل مألوفات الترف في الحياة، ويعيش حياة بسيطة فلا يشعر بالمشقة التي يجدها مَنْ هَمُّه الدنيا.

وباختصار شديد فالحج يعين على تطبيق وصية النبي ﷺ لابن عمر ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السرعة في السير (٣٠٠١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» (٦٤١٦).

المطلب السابع
التربية على خلق الوفاء

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج]. بيَّن الله تعالى ضمن آيات الحج وأعماله أنه يجب على كل من نذر نذراً أن يوفيه بشرط أن يكون في طاعة الله تعالى، فقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ «صيغة الأمر في هذه الآية الكريمة تدل على وجوب الإيفاء بالنذر.

ومما يدل من القرآن على لزوم الإيفاء بالنذر: أنه تعالى أشار إلى أن الإيفاء بالنذر، والخوف من أهوال يوم القيامة، من أسباب الشرب من الكأس الممزوجة بالكافور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان]، ثم أشار إلى بعض أسباب ذلك فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان] فالوفاء بالنذر ممدوح على كل حال»[1].

وقال السعدي: «﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ أي: التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا»[2].

فالتنبيه على الوفاء بالنذر ضمن أعمال الحج يوحي بأن الإنسان عندما دخل في الإسلام قد عاهد الله تعالى على القيام بكل أركان الإسلام ومن تلك الأركان الحج، فالوفاء به بأن يؤديه كما يريد الله تعالى بكامل أعماله وعلى الهيئة التي يريدها الله تعالى.

وكان بعض الناس ينذرون الذبح والأعمال الصالحة في الحج، فهؤلاء عليهم الوفاء بما نذروا به. والوفاء بالنذر يجلب حب الله تعالى للعبد قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) أضواء البيان ٥/٢٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٦.

وهو كذلك يجلب الخير والأجر العظيم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح].

ومدح الله تعالى نفسه بالوفاء فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الثالث
تعميق مبدأ الوحدة بين المسلمين

تمهيد:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج].

العبادات في الإسلام لها مقاصدها وأهدافها، ومن تلك المقاصد هي غرس وبناء الأخوة بين المسلمين وهذا الأمر ليس بالأمر الهين فلن تقوم أمة على غير الوحدة بين أفرادها.

والحج كغيره من العبادات التي يخاطب بها تعالى الأمة بأسرها، ولكنه يتجاوز الحدود الجغرافية، والعرقية والقبلية إلى أن يجمع المسلمين كلهم على قلب رجل واحد وتحت إمام واحد.

والحج شعار الأخوة والوحدة يجتمع فيه الحجاج على اختلاف بينهم في اللسان والألوان والأوطان والأعراق في مكان واحد، وزمان واحد، بمظهر واحد، وهتاف واحد، لهدف واحد، هو: العبودية لله تعالى،

والامتثال لأمره، والاجتناب لمعصيته، فتتعمق بذلك المحبة بينهم، فيكون ذلك دافعاً لهم إلى التعارف، والتعاون، والتفكير، والتناصح، وتبادل الخبرات والتجارب، ومشجعاً لهم للقيام بأمر هذا الدين الذي جمعهم، والعمل على الرفع من شأنه.

المبحث الأول: الحج وتعميق الأخوة:

أولاً: تنمية التعارف بين المسلمين.

ثانياً: تنمية التآلف بين المسلمين.

ثالثاً: تنمية التكافل بين المسلمين.

رابعاً: تنمية روح التناصر بين المسلمين.

المبحث الثاني: الحج ومبدأ الوحدة بين المسلمين:

أولاً: تعميق وحدة الجنس والنسب.

ثانياً: التربية على وحدة الصف.

ثالثاً: التربية على وحدة الكلمة.

رابعاً: التربية على وحدة اللغة.

خامساً: تعميق الانتماء والوحدة التاريخية.

وهذا الأمر أشكاله في الحج ومنها:

أولاً: تعميق وحدة الجنس والنسب

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات].

بيَّن الله تعالى في هذه الآية «استواء الناس في الأصل، لأن أباهم واحد وأمهم واحدة وكان في ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب وتطاول

بعض الناس على بعض، فبيَّن تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا، أي: يعرف بعضهم بعضاً، ويتميز بعضهم عن بعض لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتطاول عليه»[1].

والتطبيق العملي لهذا المبدأ المهم في حياة البشرية كلها قد قرره النبي ﷺ في حجة الوداع فعن أبي نضرة رضي الله عنه قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**»[2].

والحج في هيئته وأعماله يقرر هذا الأمر فالمسلمون جميعاً يلبون نداء الله تعالى للحج من كل فج عميق لا تعيقهم قومياتهم ولا نسبتهم إلى أوطانهم ولا طبقاتهم الاجتماعية، بل فوق ذلك يعملون كل الأعمال المطلوبة منهم، ويكونون على هيئة واحدة تجعلهم يستشعرون أنهم من نسب واحد ومن أصل واحد.

ويترتب على هذه الوحدة: التعارف لا التخالف والتعاون لا التخاذل، والله رب الجميع يرقب هذه الأخوة ويرعاها، ويطالب عباده جميعاً بتقريرها ورعايتها، والشعور بحقوقها والسير في حدودها.

وبهذا يقضي الإسلام تماماً على التعصب للأجناس أو الألوان في الوقت الذي لا تزال فيه الأمم المتحضرة من أوروبا وأمريكا تقيم كل وزن لذلك، وتخصص أماكن يغشاها البيض ويحرم منها السود حتى في معابد الله، وتضع القوائم الطويلة للتفريق بين الأجناس الآرية والسامية، وتدّعي كل أمة أن جنسها فوق الجميع.

❋ ❋ ❋

(١) أضواء البيان ٤١٧/٧.

(٢) مسند أحمد ٤١١/٥ (٢٣٥٣٦) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

ثانياً: التربية على وحدة الصف

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف].

قال ابن كثير: «فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان»[(١)].

وقال السعدي: «هذا حثٌّ من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفاً متراصاً متساوياً، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضاً»[(٢)].

وهذا المعنى الذي يريد الله تعالى أن يربي عليه الأمة يظهر جلياً في عبادات كثيرة ومنها الحج.

فالحج إذا نظرت إلى الناس في كل حركة بل وفي كل سكنة تجدهم صافين لله تعالى لا يخترقهم ويقطع صفوفهم أحد متجهين في صفوف كالنهر الجاري يقوي بعضهم بعضاً وينشط بعضهم بعضاً ويظهرون قوتهم وجلدهم في هذا.

حتى وهم نائمون ينامون بطريقة واحدة بحيث تكون وجوههم كلها جهة القبلة بترتب عجيب.

فهذه الوحدة في الصف لا بد أن يكون له ترجمتها العملية في واقع المسلمين بعد الحج، بأن يقفوا صفاً واحداً في مواجهة كل ما يواجهونه من آلام، وما يطمحون إليه من آمال، يقوي بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص.

❋ ❋ ❋

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠٧/٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٨٥٨.

ثالثاً: التربية على وحدة الكلمة

قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

إنَّ الكلمة التي نتوحد عليها هي كلمة التوحيد: (لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله) بكل ما تحمله تلك الكلمة من دلالات ومقتضيات، فالتوحيد عليها لا بد أن يكون بلفظها وبما دلت عليه، وبحقيقة معناها وأنها ضرورة من ضرورات الحياة لا يمكن أن يعيش الإنسان سعيداً هنيئاً بدونها، ولا يمكن أن يكون فائزاً في أخراه بدونها، توحيد على الاعتقاد والعمل بها.

فإذا توحد الناس على هذه الكلمة في العلم والعمل والدعوة سهلت وهانت عليهم كل الصعاب، وحلوا كل مشاكلهم تحت ظلال هذه الكلمة.

والحج برنامج عملي على التربية على توحيد الكلمة علماً وعملاً[1]:

- فتلبية الحجاج جميعاً واحدة يقولونها في وقت محدد ويتوقفون عنها في وقت محدد.
- وفي يوم العيد متفقون على كلمة التوحيد بالتكبير أيام العيد، يبدأون في وقت محدد وينتهون منها في وقت محدد.
- وفي جميع أدعية الحج وأذكاره متفقون عليها، يقولونها في مواضعها، ويتوقفون عنها في غير مواضعها.
- ثم تراهم يبرمجون هذه الكلمة في أعمالهم وعباداتهم لله وحده فاتفقوا على الكلمة قولاً وعملاً.

فهم بذلك يتدربون على التوحيد وترك الخلاف، وعلى البعد عن اختلاف الكلمة بكل صورها وأشكالها، ولذلك نهي الحاج عن الجدال قال

---

(١) يراجع مبحث التربية على التوحيد من خلال آيات الحج في الفصل الأول من هذا البحث.

تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. لأن الجدال كما هو معلوم من أشد الأسباب التي تفرق الكلمة.

❋ ❋ ❋

رابعاً: التربية على وحدة اللغة

وحد الله تعالى اللغة بين المسلمين وأعلن أن العربية هي لسان القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف].

فالقرآن هو لسان المؤمنين ودعوة الإيمان موجهة إلى العالمين. ويقرر علماء الاجتماع أن اللغة هي أقوى الروابط بين الأمم والشعوب، وأقرب وسائل التقريب والتوحيد بينها. وهي نسب من لا نسب له، وقد أدرك الإسلام هذه الحقيقة ففرض العربية فرضاً على المؤمنين في صلواتهم وعباداتهم.

فهذا تشجيع على تعلم لغة العرب وتعميمها بين الناس لتكون اللغة العالمية الأولى التي تربط البشرية بأقوى روابطها.

وقد يقال إن ذلك خيال لا يتحقق؟! والجواب أنه خيال حققته قوة أصحابه الروحية والحسية من قبل وتحققه من بعد، ولا خيال في الحقيقة إلا مع الضعف، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. ولا تعاب الطريقة المثلى إذا هجرها الناس وهذه هي الطريقة للوحدة.

وعلى ذلك فالحج يربي الأمة المسلمة على تعلم العربية فهم يدعون الله تعالى بالأدعية الثابتة باللسان العربي كالتلبية والتكبير، بل نجد أن كثيراً من الحجاج قصروا في حجهم بسبب احتكار بعض أئمتهم اللغة العربية وتفهمها وأصبحوا لا يبلغونهم إلا ما يريدون هم، وهم في ذلك تابعون.

وتجدهم فقدوا كثيراً من معاني الحج وعبره بسبب بعدهم عن العربية إلا أن يخرج إليهم من تعلم العربية ويترجم لهم تلك المعاني والتوجهات.

فإذا تعلموا العربية استطاعوا أن يتذوقوا لذة القرآن ومناجاة الله، فإذا حصل لهم ذلك أحسوا بقيمة الإسلام وعالميته، من غير واسطة.

❋ ❋ ❋

خامساً: تعميق الانتماء والوحدة التاريخية

يتربى المسلم في الحج على الارتباط بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن أبينا إبراهيم وبنائه للبيت إلى نبينا محمد رسول الله ﷺ وتعظيمهم لحرمة مكة، فيتذكر الحاج حين تردده في المشاعر وأداء للشعائر تردد أولئك المطهرين في هذه البقاع الشريفة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال: «**أي واد هذا؟**» فقالوا: وادي الأزرق. فقال: «**كأني أنظر إلى موسى** ﷺ، **واضعاً إصبعيه في أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي**» قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال: «**أي ثنية هذه؟**» قالوا: هرشى أو لفت فقال: «**كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة ماراً بهذا الوادي ملبياً**»[1].

فهذا الحديث يدلنا على أن للحج تاريخ عبر الأنبياء، وأشهر الأنبياء وأشدهم جلاءً في هذا الباب هو إبراهيم عليه السلام.

فأعمال الحج في مضامينها ذكرى أبينا إبراهيم عليه السلام ورحيله بزوجه هاجر وابنه الرضيع إسماعيل عليه السلام إلى مكة وما كان من أمرهم مروراً بباقي الركب الميمون من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وصولاً إلى حجة الوداع مع خير الرسل وخاتمهم ثم استكمالاً للمسيرة مع الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين إلى وقتنا هذا؛ وكم في سير أولئك الكبار من دروس وعبر وكم فيهم من قدوة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (١٦٦).

المبحث الرابع
التربية على القيم الإسلامية

أولاً: التربية على قيمة الوقت

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فحدد ربنا وقت الحج بأشهرٍ معلومة دون غيرها.

وقال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، فحدد أعمال الحج ومشاعره في أيام معلومات فقط. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فبيَّن سبحانه الغاية من معرفة الشهور والحساب ومن ذلك معرفة الحج بوقته.

كل هذه الآيات تبين لنا أن الحج يغرس في قلوب المسلمين أهمية الوقت، ويجعلهم يحافظون عليه أشد المحافظة، ويستفيدون من كل لحظة تمر عليهم في أداء هذه الشعيرة العظيمة، فأيام الحج أيام قلائل، فإذا رجع الحجاج إلى بلدانهم؛ تذكروا قيمة الوقت الذي قضوه واستفادوا منه في طاعة الله، فيعينهم ذلك على المداومة والاستمرار.

ومن جانب آخر فالحج يغرس قيمة الوقت في أنه قد قَدَّرَ لكل عبادة وكل شعيرة زمانها المحدد، فإذا فات زمانها فات العمل بها مما قد يترتب عليه الفدية، وقد يؤدي ذلك إلى بطلان الحج، فيتربى الحاج في ذلك على أن يقوم بالعمل في وقته المحدد لكي لا يترتب على تفريطه في الوقت ضياع أمور دينه ودنياه.

والوقت من أنفس الأشياء التي يملكها المسلم في الدنيا، ولذلك كان السؤال عنها يوم القيامة من أول الأسئلة، فعن أَبِي بَرْزَةَ الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قَدَمَا عَبْد يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ**»(١).

فالحج يبين أن أيام الإنسان والفرص التي تمر عليه تمر بسرعة في أشهر أو أيام أو لحظات معدودات، فإذا لم يبادر الإنسان باستغلال الفُرَص فإنها تضيع عليه في وقت لا ينفع الندم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر]، فندموا عل تفريطهم في وقت العمل الذي أتاحه الله لهم فضيعوه.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون] تمنى الرجوع لأيامه وفرصه الخوالي الذي ضيعها، وأنَّى له ذلك.

والله تعالى يحث الحجاج: أن استغلوا وقت العبادة قبل أن تندموا فوقتها في تلك الأشهر والأيام المعدودات.

والخطاب كذلك موجه للحجاج ولغير الحجاج في العشر الأيام الأول من ذي الحجة من خلال حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل، يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**»(٢).

فهي أيام معدودات ومعلومات، وإذا لم يحسن العبد استغلال الوقت فيها فلن تعود له مرة أخرى.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الترمذي ـ كتاب أبواب صفة القيامة، بابٌ في القيامة (٢٦٠٢) وصححه الألباني.
(٢) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق (٩٦٩).

ثانياً: التربية على قيمة النظام والانضباط

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال ابن عاشور: «ذكر المواقيت لإقامة نظام الجامعة الإسلامية على أكمل وجه، ومن كمال النظام ضبط الأوقات»(١).

«فتنمية روح النظام والانضباط في الحج، تكمن في أمور الحج كلها ومن ذلك أن رحلة الحج تبدأ من أماكن معينة، تعرف بالميقات المكاني للحج، وهي خمسة حدود مكانية، ولا يجوز تجاوزها بغير إحرام إذا نوى العبد الحج أو العمرة، ومن تجاوزها فإنه يجب عليه أن يعود إليها ويحرم منها، وإلا فعليه دم يذبحه ويوزعه على فقراء الحرم.

من هذه الشعيرة الخاصة يمكننا أن نضع أيدينا على مغزى بعيد لها، وبُعْدٍ تربوي تستشعره النفس من خلال تدبرها، وهو أن يتعود المسلم دوماً أن لكل عمل ولكل أمر حدوداً معينة لا يجوز تجاوزها، بل إن تجاوزها قد يكون من الخطورة بمكان؛ حيث ينعكس أثره على صحة العمل نفسه، وقبوله عند الحق سبحانه.

وهذا المغزى الانضباطي التربوي البعيد يكاد يكون سمة بارزة من سمات المنهج الإسلامي التي يُربَّى المسلم عليها؛ حيث توجد عنده هذه الروح، وينميها في حسه، فتعوِّده على حب النظام والانضباط، والطاعة للأوامر، والتزام حدود كل عمل فلا يتجاوزه، وهي كلها جوانب تندرج تحت صفات الجندية المنشودة»(٢).

وفي الحج قيودٌ وحدودٌ والتزامُ هيئاتٍ لا يجوز للحاج الإخلال بها،

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٢٣٩.

(٢) الأبعاد التربوية للحج، ص٢ ـ ٣ بتصرف واختصار.

وهي تُعَوِّدُهُ حُبَّ النظام والمحافظة عليه، وتربيه على الانضباط بامتثال الأمر وترك النهي.

فتحرك الناس من بلدانهم في وقت محدد، ثم أدائهم الشعائر في أماكن وأزمان محددة بكيفية محددة فلا تعارض فيمن يدخل عرفة ومن يخرج منها فالكل يدخلها في وقت واحد، ويخرج في وقت واحد، فلا تجد تصادم بين الناس في اختلاف الاتجاهات.

فالحج رُسِمَت حدوده، وحُدِّدَ وقته، وبُيِّنَت حرماته، وظهرت مرجعيته، وهذا: يدلنا على أن الإسلام دين النظام، ففي الحج ترتيب للمناسك والوقت، كل عمل في مكانه وفي وقته المحدد له، والذي يدير هذا النظام هو ما شرعه الله تعالى من أحكام في الحج، فهم يتحركون وفق توجيه الله تعالى لهم من خلال كتابه وسنة رسوله ﷺ.

فالحج يُبَيِّن لنا أنه لا بد للأمة من نظام يحكمها، وقيادة توجهها وتديرها، وانضباط وسمع وطاعة تحقق نجاحها وفلاحها.

❋ ❋ ❋

ثالثاً: التربية على قيمة الإتقان

تظهر التربية على الإتقان في الحج بالتربية على أن يكون الحج مبروراً، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العلم أفلا نجاهد؟ قال: «**لا، لكنَّ أفضل الجهاد حج مبرور**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحجُّ، باب فضل الحج المبرور (١٥٢٠).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٥١٩).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[(١)].

«والحج المبرور الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، وكانت النفقة فيه من المال الطيب»[(٢)].

«والأقوال التي ذكرت في تفسيره متقاربة المعنى، وهي أنه الحج الذي وُفِّيت أحكامه، ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل»[(٣)].

فالحج المبرور: أن يأتي المسلم بحجه على التمام والكمال خالصاً لوجه الله وعلى وفق سنة رسوله ﷺ. وأن يحافظ فيه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

وهذا الإتقان هو الإحسان في الأعمال يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك].

وكذلك نجد النبي ﷺ يحث على قيمة الإتقان في الحج من خلال بيان أفضل ما يكون في الحج وذلك بقوله: «**أفضل الحج: العج والثج**»[(٤)]، «فالعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدم»[(٥)].

فقيمة الإتقان قيمة عظيمة جداً، يركز الحاجُّ من البداية على استصحابها، لكي يقبل الله تعالى حج العبد، وليتعلم الإتقان في العمل في كل حياته.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها (١٧٧٣).
(٢) الاستذكار ١٠٤/٤.
(٣) فتح الباري ٣٨٢/٣.
(٤) جامع الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر (٨٢٧) وصححه الألباني.
(٥) إيقاظ الأفهام ٥٣/٤.

رابعاً: التربية على قيمة النظافة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج] «أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات والأقذار»[(١)].

«فيجب أن يُراد به التطهير من كل أمر لا يليق بالبيت، فإذا كان موضع البيت وحواليه مصلى وجب تطهيره من الأنجاس والأقذار، وإذا كان موضع العبادة والإخلاص لله تعالى وجب تطهيره من الشرك وعبادة غير الله»[(٢)].

ومن المعلوم أن الحاج كثير الدخول إلى المسجد الحرام لأداء الطواف والسعي، فلا بد له من الطهارة التزام بأمر الله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف].

ومن سنن الإحرام التي ذكرها العلماء اقتداءً بهدي النبي ﷺ في المحافظة على نظافته: «**الاغتسال، والتطيب، وتقليم الأظافر، وقص الشارب**»[(٣)]، وكل هذه من الأمور التي تظهر النظافة ويبقى المحرم بها على خير حال.

وقد ثبت أن النبي ﷺ اغتسل في ثلاثة مواضع وهي:

الأول: عند الإحرام.

والثاني: عند دخول مكة.

والثالث: في عرفة.

مِمَّا يدلُ على أهمية هذا الأمر.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٦٥.
(٢) تفسير الرازي، ٤/٤٧.
(٣) انظر: فقه السنة ١/٤٨٠.

المبحث الخامس
النهي عن الأخلاق السيئة

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

المطلب الأول
النهي عن الفسوق

قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ قال جماعة من المفسرين: «الفسوقُ هاهنا السباب»[(١)]. لقوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[(٢)].

وقال الضحاك: الفسوق: «التنابز بالألقاب»[(٣)]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٤٤ ـ ٥٤٥ باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم (٦٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٥٤٥ باختصار.

المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء»[1]. قال القرطبي: «هو تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[3].

قال المناوي في قوله: «**ولم يفسق**»، أي: «لم يخرج عن حد الاستقامة بفعل معصية أو جدال أو مراء أو ملاحاة»[4].

فقد يحدث في الحج بسبب الزحام وكثرة الناس والتنوع الجغرافي بعض المصادمات بين الناس، فيربي الله تعالى عباده من خلال الحج على حسن تعامل الحاج مع إخوانه الذين تربطه بهم رابطة الأخوة الإيمانية، وفي هذا بُعدٌ تربوي أخلاقي يفرض على الحاج والمعتمر أن يحسن التعامل مع إخوانه، وأن يتخلق معهم بالأخلاق الحسنة، وأن يُحسن مصاحبتهم ومعايشتهم، وأن يتحمل ما قد يحصل منهم من أخطاء أو نحو ذلك بأن يتعامل مع الموقف في حدود وضوابط الأخوة الإيمانية التي جمعتهم جميعاً في هذه البقاع الطاهرة ضيوفاً للرحمٰن في حرم الله الآمن يطلبون رحمته ويسألونه غفرانه.

فعندما يصل الحاج إلى هذه الدرجة من الحفاظ على لسانه من أن يقول أو يفعل فسقاً، ويعلم ما أعده الله تعالى لمن صبر في ذلك بأنه قد رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه لن يرضى لنفسه أن يرجع إلى الفسق والذنوب مرة أخرى، ويكون حذراً عند كل تصرف يخرج منه، كما كان حذراً في حجه من الوقوع في الفسوق.

---

(١) مسند أحمد ح(٣٨٢٩)، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (١٩٧٧)، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤١١/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٥٢١)، ومسلم كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة (١٣٥٠).

(٤) فيض القدير ١١٥/٦.

المطلب الثاني
النهي عن الجدال

قال تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ قال ابن كثير: فيه قولان: أحدهما: ولا مجادلة في وقت الحج وفي مناسكه، وقد بيَّنه الله أتَمّ بيان ووضحه أكمل إيضاح، والثاني: أن المراد بالجدال هاهنا: المخاصمة»[(١)].

عن ابن عباس ﷺ قال: «الجدال: المراء والملاحاة، حتى تغضب أخاك وصاحبك»[(٢)]. وعن ابن عمر قال: «الجدال في الحج: السباب، والمراء، والخصومات»[(٣)].

وعن عكرمة قال: «والجدال الغضب، أن تُغْضب عليك مسلماً»[(٤)].

قال السعدي: «والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة، والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبروراً والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج»[(٥)].

فالجدال من الخصال التي تسبب البغضاء والحقد في النفوس وتثير الخلافات بين الناس، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن الجدال في الحج حتى لا ينجم عن الجدال شقاق ويتطور إلى نزاع حاد يفسد ما للحج من قدسية وما يلزم له من سكينة ووقار وقرنه بالرفث والفسوق وجعله مشمولاً معهما بالنهي.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٤٦.
(٢) جامع البيان ٤/١٤٤.
(٣) جامع البيان ١/٢٩٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٥٤٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٩١.

الْخَصِمُ»[1]، أي: كثير الخصومة وافتعال المعارك الكلامية وحب الجدال والمناظرة وإظهار الرأي، فهذا أبغض الناس إلى الله عامة فما بالك عندما يكون هذا الجدال أو المراء في الحج.

وعلى ذلك فالحج مدرسة للتربية على ترك كل ما يعكر صفو الأخوة الإسلامية وتدريب عملي على ذلك، فالذي استطاع أو حاول أن يقاوم شهوة حب الجدال في نفسه قادر بإذن الله تعالى بعد الحج الاستمرار على هذه المقاومة ليتحقق له بعد ذلك أمور:

١ ـ يسلم حجه.

٢ ـ الفوز ببيت حول الجنة وفي أطرافها، كما قال ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً**»[2].

٣ ـ يصلح حاله مع إخوانه وتبقى رابطة الأخوة قائمة.

٤ ـ وينجو المرء من الضلال كما قال ﷺ: «**ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»[3].

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث
التحذير من شهادة الزور

نهى الله تعالى عن قول الزور ضمن آيات الحج فقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله تعالى: وهو ألد الخصام (٢٤٥٨)، ومسلم كتاب العلم، باب الألد الخصم (٢٦٦٨).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق (٤٨٠٠) وحسَّنه الألباني.

(٣) مسند أحمد ٢٥٢/٥ (٢٢٢١٨) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية»[(١)].

قال القرطبي: «والزور: الباطل والكذب، وسمي زوراً لأنه أميل عن الحق، وكل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور»[(٢)].

قال السعدي: «أي: جميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور»[(٣)].

وهنا يغلظ الله تعالى من جريمة قول الزور إذ يقرنها إلى الشرك، ورسول الله ﷺ يجعلها من أكبر الكبائر فعن أبي بَكْرَة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين** ـ وكان متكئاً فجلس، فقال: **ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**». فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت[(٤)].

فقول الزور من الأخلاق الشنيعة من جميع الجوانب، وما يترتب على قول الزور كذلك من الظلم والجور، وانتهاك للحدود والحقوق فيجتمع فيه كل شر.

ووجود النهي عن قول الزور والله أعلم يشير إلى أن أي مخالفة عن هدي النبي ﷺ في الحج من قول أو فعل بابتداع أو مخالفة أو شرك فهي من الزور الذي يخالف الهدي والخلق الإسلامي الرفيع.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) جامع البيان ٦١٨/١٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٥/١٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، ص٥٣٨.
(٤) صحيح البخاري، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٤)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٧).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . **وبعد**:

بعد هذا العرض للوقفات التربوية في آيات الحج يمكن أن نبين نتائج البحث من خلال النقاط التالية:

أولاً: في الحج تربية على العقيدة الصحيحة من خلال الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله، كذلك بما فيه من الأعمال التي تدل على التوحيد، والبراءة من المخالفين للتوحيد وأعمالهم، وكذلك من خلال التربية على الإيمان بعقيدة الموت والبعث والقيامة.

ثانياً: في الحج تربية على تعظيم شعائر الله من تعظيم مكة والبيت الحرام، وتحريم الصيد أثناء الإحرام، والأمر بترك القتال في الأشهر الحرم، وكذلك عظيم الهدي الذي يهدى إلى بيت الله في حج أو عمرة، وما الواجب على المسلم من حقوق هذه الشعائر.

ثالثاً: الحج مدرسة في التربية على زيادة الإيمان، فقد ورد في الحج الحث على التقوى، والذكر، والدعاء، والتوبة والاستغفار، والتوكل، والشكر، والتقرب إلى الله بكل أنواع العبادة المفضلة. وكذلك التربية على طلب الهداية من الله تعالى.

رابعاً: في الحج تربية على المنهجية الصحيحة في السير إلى الله من خلال التربية على أن من ترك شيء لله عوضه الله خير منه، وغرس الاستسلام الكامل لله تعالى في قلوب الناس، وكذلك التربية على منهجية الوسطية وعدم الغلو في الدين، والتيسير على الأمة.

خامساً: في الحج تربية على تعميق الأخلاق الكريمة، من العفاف، والرفق والسكينة، والتواضع، والصبر، والبذل والسخاء، والزهد والقناعة، والوفاء.

سادساً: في الحج تربية على القيم الإسلامية العليا من الاهتمام بقيمة الوقت والنظام والانضباط، والإتقان، والنظافة، وكذلك النهي عن الأخلاق السيئة من الفسوق، والجدال، وشهادة الزور.

سابعاً: الحج مدرسة في تعميق الأخوة بين المسلمين من خلال تنمية التعارف، والتآلف والتكافل بين المسلمين، وكذلك تنمية روح التناصر بين المسلمين.

ثامناً: الحج له دور كبير في غرس مبدأ الوحدة بين المسلمين، من خلال تعميق وحدة الجنس والنسب، ووحدة الصف، ووحدة الكلمة، ووحدة اللغة، وكذلك تعميق الانتماء والوحدة التاريخية.

وفي الختام أوصي إخواني الباحثين والدعاة النظر في كتاب الله تعالى والبحث عن دره وكنوزه بتدبر وتمكن حتى نجعل من القرآن زاداً لنا ونتلقاه وكأنه ينزل علينا الآن.

الموضوع لم ينته بعد وما قدمته ما هو إلا قبس من نور وهاج ـ لو فطن ـ إليه من فطن ما وسعه إلا أن يحمد الله تعالى على نعمة الهداية والتوفيق.

وأسأل الله تعالى في ختام هذا الحبث أن يكون ما كتبناه وما تعلمناه

حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعل هذا العمل حجة لنا لا علينا، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وكل من أعان على إخراجه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د.محمد بن عبدالعزيز العواجي
كُتب في طيبة الطيبة ١٤٢٩/٩/١هـ
تمت مراجعته ١٤٣٦/١٠/١٥هـ

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الأبعاد التربوية في الحج: د. حمدي شعيب.

٣ ـ إتحاف الخيرة المهرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن، ط١٤٢٠هـ.

٤ ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٥ ـ أخبار مكة: للفكهاني.

٦ ـ الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الصدّيق، الطبعة، ط١، ١٤٢١هـ.

٧ ـ الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨ ـ أضواء البيان: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٩ ـ آيات التقوى في القرآن: حسين علي خليف الجبوري.

١٠ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبي بكر جابر الجزائري، ط١، (١٤٠٧هـ).

١١ ـ إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام: سليمان بن محمد اللهيميد.

١٢ ـ بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.

١٣ ـ البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ).

١٤ ـ التحرير والتنوير: ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٥ ـ التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي، مكتبة مشكاة الإسلامية.

١٦ ـ تفسير ابن عبدالسلام: عز الدين بن عبدالسلام.
١٧ ـ تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط٣، (١٤٠٣هـ).
١٨ ـ تفسير الفخر الرازي: المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط٣، (١٤٠٥هـ).
١٩ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم، تحقيق: أسامة الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٠ ـ تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، (١٤١٨هـ).
٢١ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا.
٢٢ ـ التفسير الميسر: عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٢٣ ـ التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي.
٢٤ ـ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمٰن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٥ ـ جامع البيان عن تفسير آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٢٦ ـ جامع الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٢٧ ـ جامع العلوم والحكم: أبو الفرج عبدالرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٨ ـ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي.
٢٩ ـ جامع لطائف التفسير: عبدالرحمٰن بن محمد القماش، إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية.
٣٠ ـ الجمع بين الصحيحين للحميدي: محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم، لبنان ـ بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية.
٣١ ـ حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٣٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٣٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٣٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود البغدادي، دار الفكر، بيروت، ط١٤٠٣هـ.
٣٥ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٣٦ ـ سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٣٧ ـ سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٣٨ ـ سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، محمد عبدالقادر عطا.
٣٩ ـ السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ـ بيروت، دار القبلتين للثقافة الإسلامية، جدة.
٤٠ ـ السيرة النبوية لابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.
٤١ ـ السيرة النبوية: دراسة تحليلية، محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٤٢ ـ شرح البخاري لابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية.
٤٣ ـ صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، تحقيق: د.محمد مصطفى الأعظمي.
٤٤ ـ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

٤٥ ـ صحيح الجامع الصغير زياداته: محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٤٦ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م، اعتناء أبو صهيب الكرمي.
٤٧ ـ صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني.
٤٨ ـ طلبة الطلبة في المصطلحات الفقهية: نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي.
٤٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
٥٠ ـ فتح القدير الجامع بين فني علم الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، دار الوفاء للنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٥هـ.
٥١ ـ فقه السنة: السيد سابق، شركة منار الدولية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٥٢ ـ فقه النصر والتمكين في القرآن: علي الصلابي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٥٣ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٥٤ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
٥٥ ـ القاموس الفقهي: سعدي أبو جيب، الناشر: دار الفكر، دمشق ـ سوريا.
٥٦ ـ القاموس المحيط: الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٥٧ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار إلٰه محمود بن عمر الزمخشري الخوارزي، دار المعارف، بيروت.
٥٨ ـ لسان العرب: محمد مكرم منظور، دار الصادر، بيروت، ط١.
٥٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
٦٠ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب: عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم ومساعده ابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، المملكة العربية السعودية.

٦١ ـ محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي.
٦٢ ـ المحرر الوجيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، الطبعة الأولى.
٦٣ ـ مختصر معارج القبول: حافظ بن أحمد آل حَكَمِي، اختصار الشيخ هشام بن عبدالقادر آل عُقدة، دار طيبة الخَضراء، ١٤٢١هـ.
٦٤ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٦٥ ـ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٦٦ ـ مسند أحمد: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مذيل بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها.
٦٧ ـ معالم التنزيل: الحسن بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٦٨ ـ المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط١٤١٥هـ.
٦٩ ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٧٠ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
٧١ ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٧٢ ـ موسم الحج وبناء السوق الإسلامية المشتركة: دكتور حسين شحاتة على موقعه على الشبة العنكبوتية بتاريخ: ٢٠٠٥/١٢/٢٦.
٧٣ ـ الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة ١٤٠٤/ ١٤٢٧هـ.
٧٤ ـ موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩١م.
٧٥ ـ نظم الدرر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٦ ـ **النكت والعيون:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٧٧ ـ **النهاية في غريب الحديث:** ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطانحي، المكتبة العلمية، بيروت.
٧٨ ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب:** محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٧٩ ـ **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دار الشامية، دمشق ـ بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
خطة البحث	٧
تمهيد: مقدمات عن الحج	١٥
المقدمة الأولى: آيات الحج وشرائعه وشعائره في القرآن	١٧
المقدمة الثانية: عرض مناسك الحج من خلال حجة النبي ﷺ	٢٤
الفصل الأول: التربية العقدية من خلال آيات الحج	٢٩
المبحث الأول: غرس الإيمان بالله من خلال آيات الحج:	٣٣
المطلب الأول: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله في آيات الحج	٣٣
المطلب الثاني: أعمال الحج ودورها في التربية على التوحيد	٣٩
المطلب الثالث: البراءة من المخالفين للتوحيد وأعمالهم ومخالفتها	٥٣
المبحث الثاني: التربية على الإيمان بعقيدة الموت والبعث والقيامة	٦٠
المطلب الأول: التذكر بالموت الذي هو بداية الآخرة لكل إنسان	٦١
المطلب الثاني: التذكير بالبعث من القبور والحشر إلى الله عند الحديث عن الحج	٦٣
المطلب الثالث: التذكير بيوم الحشر في أعمال الحج	٦٦
المطلب الرابع: التذكير باليوم الآخر والجنة والنار	٦٩
الفصل الثاني: تعظيم شعائر الله في الحج كما عرضها القرآن	٧٣
المبحث الأول: تعظيم الله تعالى لمكة والبيت الحرام	٧٥
المبحث الثاني: دعاء إبراهيم عليه السلام لتعظيم هذه المشاعر	٨٥

الموضوع	الصفحة

المبحث الثالث: تعظيم الحجاج والمعتمرين وغيرهم لكل شعائر الله ٨٩
المطلب الأول: تعظيم شعائر الله بتحريم الصيد أثناء الإحرام ٩٠
المطلب الثاني: تعظيم شعائر الله بترك القتال في الأشهر الحرم ٩١
المطلب الثالث: تعظيم الهدي الذي يهدى إلى بيت الله في حج أو عمرة .. ٩٢
المطلب الرابع: من تعظيم شعائر الله تعالى أن تُؤدى حقوق هذه الشعائر ... ٩٤
المطلب الخامس: أن يعلم المحرم والداخل لمكة أنه في أمان الله فلا يتعرض لسخطه ٩٦
المطلب السادس: تعظيم شعائر الله تعالى بإقامة العبادات فيها على الوجه المشروع ٩٧
المطلب السابع: التعقيبات القرآنية على محظورات الإحرام ٩٩
الفصل الثالث: التربية الإيمانية في الحج ١٠٣
المبحث الأول: التربية على تقوى الله تعالى ١٠٥
المطلب الأول: التزام التقوى في نية وأعمال الحج ١٠٦
المطلب الثاني: التقوى في السفر للحج وأنها خير زاد ١٠٨
المطلب الثالث: تقوى الله تعالى تزيد الأعمال الصالحة في الحج وتحفظها . ١١٠
المطلب الرابع: تقوى الله تعالى ثمرة لتوحيده سبحانه في الذبح ١١١
المطلب الخامس: التزام التقوى في كل أوامر الحج والحذر من عقاب الله . ١١٢
المطلب السادس: تقوى الله تعالى في تعظيم شعائر الله ١١٤
المطلب السابع: ثمرات التزام تقوى الله ١١٦
المبحث الثاني: التربية على ذكر الله ١٢٦
المبحث الثالث: التربية على الدعاء ١٣٢
المطلب الأول: أفضل الدعاء في الحج ١٣٢
المطلب الثاني: رحلة الحج والأدعية فيها ١٣٥
المبحث الرابع: التربية على التوبة والاستغفار ١٤٠
المبحث الخامس: الحج والتربية على التوكل على الله ١٤٣
المبحث السادس: التربية على التقرب إلى الله بالطواف والاعتكاف والصلاة . ١٤٦
المطلب الأول: عبادة الطواف ١٤٧

الموضوع	الصفحة

المطلب الثاني: عبادة الاعتكاف ١٥٢
المطلب الثالث: عبادة الصلاة ١٥٥
المبحث السابع: التربية على شكر الله تعالى ١٥٧
المطلب الأول: التربية على شكر الله بعرض شكر الله للعبد ١٥٧
المطلب الثاني: التربية على شكر الله بالإشارة إليها ضمن أعمال الحج ١٦٠
المطلب الثالث: التربية على الشكر ببيان أن الله تعالى غني عن الشكر ١٦٢
المبحث الثامن: التربية على طلب الهداية من الله ١٦٦
الفصل الرابع: التربية المنهجية في السير إلى الله من خلال الحج ١٦٩
المبحث الأول: التربية على أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خير منه ١٧١
المبحث الثاني: الحج وغرس منهج الاستسلام الكامل لله ١٧٤
المطلب الأول: غرس الاستسلام لله من خلال الأمر بالحج ومناسكه ١٧٤
المطلب الثاني: نماذج نبوية في الاستسلام لله تعالى نتعلمها من الحج ١٧٥
المطلب الثالث: تصوير بعض نماذج التربية على الاستسلام لله تعالى في الحج ١٧٧
المبحث الثالث: الحج والتربية على منهجية الوسطية وعدم الغلو في الدين . ١٧٩
المبحث الرابع: الحج والتربية على منهج التيسير على الأمة ١٨٥
المطلب الأول: تأصيل مبدأ التيسير في الإسلام ١٨٥
المطلب الثاني: صور من التيسير في الحج وأعماله ١٨٧
الفصل الخامس: التربية الأخلاقية في الحج ١٩٣
المبحث الأول: الحج وتعميق الأخوة ١٩٧
أولاً: تنمية التعارف بين المسلمين ١٩٧
ثانياً: تنمية التآلف بين المسلمين ١٩٩
ثالثاً: تنمية التكافل بين المسلمين ٢٠٠
رابعاً: تنمية روح التناصر بين المسلمين ٢٠١
المبحث الثاني: تربية الحج المسلمين على تنمية الأخلاق الذاتية ٢٠٦
المطلب الأول: التربية على خلق العفاف ٢٠٦
المطلب الثاني: التربية على خلق الرفق والسكينة ٢٠٨

الموضوع	الصفحة

المطلب الثالث: التربية على خلق التواضع ٢١٢
المطلب الرابع: التربية على خلق الصبر ٢١٤
المطلب الخامس: التربية على خلق البذل والسخاء ٢١٦
المطلب السادس: التربية على خلق الزهد والقناعة ٢١٨
المطلب السابع: التربية على خلق الوفاء ٢٢٠
المبحث الثالث: تعميق مبدأ الوحدة بين المسلمين ٢٢٢
أولاً: تعميق وحدة الجنس والنسب ٢٢٣
ثانياً: التربية على وحدة الصف ٢٢٥
ثالثاً: التربية على وحدة الكلمة ٢٢٦
رابعاً: التربية على وحدة اللغة ٢٢٧
خامساً: تعميق الانتماء والوحدة التاريخية ٢٢٨
المبحث الرابع: التربية على القيم الإسلامية ٢٢٩
أولاً: التربية على قيمة الوقت ٢٢٩
ثانياً: التربية على قيمة النظام والانضباط ٢٣١
ثالثاً: التربية على قيمة الإتقان ٢٣٢
رابعاً: التربية على قيمة النظافة ٢٣٤
المبحث الخامس: النهي عن الأخلاق السيئة ٢٣٥
المطلب الأول: النهي عن الفسوق ٢٣٥
المطلب الثاني: النهي عن الجدال ٢٣٧
المطلب الثالث: التحذير من شهادة الزور ٢٣٨
الخاتمة: وقد ذكرت فيها أهم التوصيات والنتائج من خلال البحث ٢٤١
قائمة المصادر والمراجع ٢٤٥
فهرس الموضوعات ٢٥١

الدكتور: محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي

بكالريوس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ـ كلية أصول الدين.

حصل على الماجستير والدكتوراه من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

انتقل في عدة مناصب في الجامعة الإسلامية، من أهمها:

وكيل كلية القرآن الكريم لشؤون الطلاب لأربع سنوات.

وكيل عماد شؤون الطلاب، مشرف التطوير الإداري بالجامعة.

مشرف بحوث الماجستير والدكتوراه في الجامعة الإسلامية.

عضو لجة المناهج والخطط الدراسية ولجان تقويم البرامج العلمية في الجامعة الإسلامية وعدد من الجهات الحكومية والخيرية والدعوية.

مشارك في عدد من البرامج الدعوية والخيرية، متخصص في برامج رعاية طلاب العلم.

عضو رابطة علماء المسلمين ـ عضو الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام.

عضو الهيئة العالمية للتنمية البشرية ـ عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم له كثير من المؤلفات والتحقيقات والبحوث منها ما هو مطبوع ومنها ما زال تحت البحث والمراجعة ومن أهمها:

- (اعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رسالة الماجستير). مطبوع.
- (التبيان في تفسير القرآن لعلي بن خلف الغزي ـ تحقيق ودراسة ـ رسالة الدكتوراه).
- الكوارث والطوفان آية من آيات الله. مطبوع.
- الإهلاك بالطوفان نظرات في قصص القرآن. مطبوع.
- بغية الطلاب في موضوعات سورة الأحزاب (مجموعة رسائل). مطبوع.
- آيات الإعجاز في آيات الإعجاز (للكشميري). مطبوع.
- وقفات تربوية من خلال آيات الحج في كتاب الله. مطبوع.
- خلاصة البرهان في اختصار وترتيب إعجاز القرآن للباقلاني. مطبوع.
- الإيجاز بمنهج الإمام الباقلاني في الإعجاز. مطبوع.
- مجموعة مقالات (آية ومعنى).